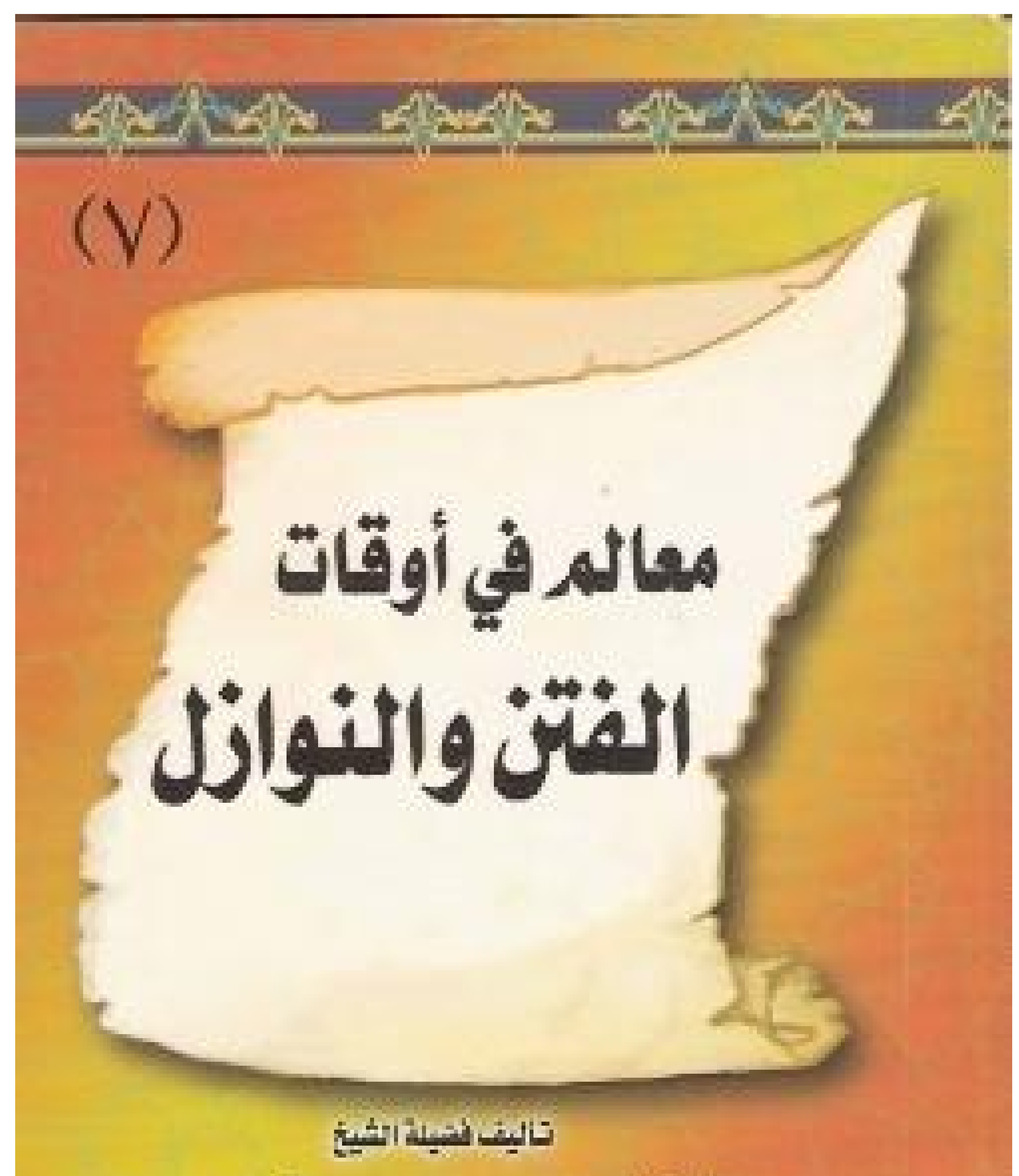


تأليف فضيلة الشيخ

عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله السدحان

تقديم فضيلة الشيخ الدكتور

صالح بن فوزان الفوزان

تقديم فضيلة الشيخ الدكتور

عبدالله بن علي الركبان

طبعة مزيدة ومنقحة

P

معالم في أوقات الفتن والنوازل

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة
إدارة البحوث العلمية والإفتاء
الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء

الرقم :
التاريخ :
المشفوعات :
الموضوع :

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله نبينا محمد وآله وصحبه ومن والاه.

وبعد: فقد قرأت البحث الذي هو بعنوان: (معالم في أوقات الفتن والنوازل) لفضيلة الشيخ: عبدالعزيز بن محمد السدحان. فوجدته بحثاً قيماً يتضمن وصايا للشباب فيما يجب عليهم عند حدوث الفتن من الثبات وعدم التسرع في الأحكام. وأن يكلوا علاج الأمور إلى أهل العلم والرأي والحل والعقد. عملاً بقوله تعالى: (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم). وإن شباب المسلمين بحاجة إلى مثل هذه الوصايا القيمة. والتوجيهات السديدة بدلاً من أن يستغلهم ذووا الأغراض السيئة والتوجهات الخبيثة فيصبحوا عبئاً على أمتهم وخطراً على دولتهم. فجزى الله الشيخ: عبدالعزيز خيراً على ما كتب ونفع بما وجهه من نصائح. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه:

صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء

في ١٤٢٤/٢/٢٧هـ

معالم في أوقات الفتن والنوازل

المقدمة

لحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد

فلما كان شباب الإسلام من الركائز الأساسية في مجتمعاتهم بل هم بعد توفيق الله تعالى عماد المجتمعات وعليهم أو بسببهم تقوم الأمم أو تهبط ، لما كان الأمر كذلك كانت تلك المرحلة العمرية هي أخصب مراحل العمر ففيها يبني المرء شخصيته ويشق طريقه في معترك الحياة، ولذا حرص النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الطائفة وخصها بمزيد من العناية والرعاية ، فأوصاهم بحفظ الفروج وصيانتها عما حرم الله تعالى فقال : ((يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)) أخرجه الشيخان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

وجاء الأمر بذلك لأن في الزواج عفة للطرفين ، وفيه الاستغناء بالحلال عن الحرام ، وفيه تكثيرٌ لأمة محمد r .

ومن وصايا النبي r لشباب أمته : حثه لهم على النشأة في طاعة الله .

جاء في الصحيح عنه r أنه قال : ((سبعة يظلهم الله في ظلِّه يوم لا ضلّ إلا ضلّه)) ، ومن ضمن أولئك : ((شاب نشأ في طاعة الله)) .

ومن حرصه r على شباب أمته: أنه حذّرهم من التفريط في ذلك العمر ؛ لأنه زمن القوة والاكتمال .

أخرج الإمام الحاكم والبيهقي عن أبن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله r : ((اغتنم خمساً قبل خمس – وذكر منها – وشبابك قبل هرمك)) ، فعدّ r زمن الشباب غنيمة ، وحث على تداركها قبل فواتها ؛ ذلك لأن تلك المرحلة يستطيع العبد أن يحصل فيها ما يعجز عنه بعد فواتها .

ومن حرص الشارع الحكيم على تلك المرحلة : أنه بين أن العبد مسئول عنها بعينها ؛ لعظم شأنها عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله r : ((لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس : عن عمره فيم أفناه ؟ وعن شبابه فيم أبلاه ؟ ...)) الخ الحديث ،أخرجه الترمذي ، والمتأمل في مجتمع شباب الصحابة رضي الله تعالى عنهم يعجب من صادق عزمهم وعلو همتهم ، فلقد كان الواحد لا يدخر وسعاً في تقديم النفع للإسلام على حسب طاقته وقدرته .

فمعاذ وابن مسعود وسالم رضي الله عنهم كانوا من القرّاء ، فكانوا مدارس لإقراء القرآن وتعليمه وزيد بن ثابت كان من كتاب الوحي وممن يجيد فهم لغة اليهود ، فكان ترجماناً لها .

وعمرو بن سلمة على صغر سنه كان إذا حضرت الصلاة يَؤُمُّ قومه ولا يُؤَمُّ ؛ لضبطه وحفظه كثيراً من آي القرآن الكريم .

وتميّز عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما بشدة عنايته بكتابة السنة وتحريرها .
ومالك بن الحويرث رضي الله تعالى عنه يقول : [أتينا إلى النبي r ونحن شببة متقاربون .. إلى أن قال : فقال r : ((ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم وعلموهم ومروهم ...))] ، جاؤوا فتعلموا ثم عملوا وعلّموا فكانوا رسل تعليم إلى أقوامهم .
وأما في مجال الجهاد والقتال : فشجاعة ورباطة جأش لا مثيل لها ، فقد فعلوا أموراً تسبق أعمارهم بمراحل كثيرة ، ولكن :

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام

قال سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه : رأيت أخي عمير بن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله r يوم بدر يتوارى فقلت : ما لك يا أخي ؟ قال : إني أخاف أن يراني رسول الله r فيستصغرني فيردني وأنا أحب الخروج لعل الله أن يرزقني الشهادة ، قال : فَعُرِض على r فاستصغره فرده ، فبكى فأجازه ، فكان سعد يقول : فكنت أعقد حمائل سيفه من صغره فقتل وهو ابن ست عشرة سنة .
و لم يقف الحد عند مشاركتهم في الغزو فحسب ، بل وصل الأمر بهم أن يكونوا رؤسا في البعوث والسرايا بأمر النبي r ، فكان عكاشة بن محصن أميراً على أربعين رجلاً في سرية إلى الغمر ، وزيد بن حارثة أميراً على سرية الحموم ، وأمَّا أسامة بن زيد فكان من القادة الأفذاذ ، فعلى صغر سنه إلا أنه تولى قيادة جيش فيه من يفوقه علماً وعمرا لأن أولئك كانوا صغار الأعمار كبار الأقدار ، عَلِم الله تعالى صدق نياتهم وإخلاصهم فرفع شأنهم وأعلى مكانتهم.
شاهد المقال : أنه خرج جيل الصحابة رضي الله عنهم مستمسكاً بدينه متوثقاً بعراه، فكانوا مفاتيح خير لمجتمعهم وشامة نور في تاريخ أمتهم، وسبب ذلك بعد توفيق الله تعالى تبصرهم في الأمور، وقوة عزيمتهم، وصادق مودتهم، فرفع الله شأنهم وأعلى مكانتهم ، فعلى شباب الأمة المصلحين أن يضعوا نصب أعينهم تلك الأمثلة من شباب الصحابة رضي الله تعالى عنهم .
تلك الأمثلة التي صنعت على العلم والإيمان ، فكانوا قدوات في أفعالهم وعباداتهم .
كانت هممهم تعلوا الجبال ، صدقوا الله فصدقهم .
شباب الإسلام : ولقد سار على منهج أولئك القدوات من الرعيل الأول أناس شمّروا عن ساعد ا لجد وبذلوا جهوداً عظيمة في نفع أنفسهم وأمتهم فكانوا منارات مضيئة في تاريخ أمتهم بل في تاريخ المسلمين عموماً .
ومن أولئك على سبيل المثال لا الحصر :
الإمام البخاري كان في أول نشأته وشبابه حريصا على العلم ، وكان مثال القدوة في سمته ودلّه حتى أصبح من أشهر أئمة الإسلام ، وكتابه أصح الكتب بعد القرآن ، قَلّ مثل هذا فيمن قبله وبعده من

الأئمة الأعلام كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد والدار قطني ومن جاء بعدهم وتأخر زمنهم كـــابن تيمية وغيره .
كانت نشأتهم وتنشأتهم على علم وبصيرة ، فكانوا من آيات الله تعالى بين خَلْقه ، فهنيئاً لهم ولمن تعاهد تعليمهم وتربيتهم .
فقل لي بربك كم يجري عليهم وعلى معلميهم من الأجر والثواب ؟!
فيا معشر من يتولى تربية ناشئة الإسلام : اخلصوا النية لله تعالى في أقوالكم وأعمـــالكم ، واجتهـــدوا وسعكم في إصلاح أولئك النشء وتنشأتهم نشأة مستمدة من الهدي النبوي على منهج سلف الأمة عظِّموا أمر الله تعالى في نفوسهم ، عظِّموا جانب المعتقد ، حذروهم من البدع والمنكرات ، رسّخوا في قلوبهم محبة الله تعالى والعمل لمرضاته ، علّموهم سيرا أولئك الأماجد وتلك النماذج من شباب الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، حبّبوا إليهم مجالس الخير ، حذّروهم من مجالس السوء وأصـــحاب الـــسوء ، عظّموا شأن الوالدين ووجوب البر بهما وخطورة عقوقهما .
فعليكم معاشر المصلحين أن تتعاهدوا الناشئة بالمنهج العلمي المستمد من الهدي النبوي علماً وعملاً ، عليكم أن ترسخوا تلك النماذج في نفوس طلابكم وناشئتكم ،فذلك من أسباب عزة الأمة وصلاحها .
يا معشر من يتولى تربية النشء : إن من أعظم الأسباب الرئيسة في صلاح الناشئة ونفعهـــم لمجـــتمعهم وأمتهم : أن يلتفوا حول علماء الأمة الراسخين ، يلتفون حولهم تزوداً واستشارة ومجالسة ، فإلى العلماء يردون وعنهم يصدرون .
وكيف لا يكون ذلك وقد تعبدنا الله تعالى بسؤالهم عما أشكل علينا ؟ { فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون } ، فالقرب من العلماء وسؤالهم عمّا أشكل وتعسّر من أعظم الأسباب في اجتناب الأخطاء أو تقليصها ، فالقرب من العلماء غنيمة والبعد عنهم مصيبة .
معاشر المصلحين : عليكم بمضاعفة الجهد واحتساب الجهد واحتساب الأجر في رعاية ناشئة الإسلام ، فأعداء الخير من الداخل والخارج لا يدخرون وسعاً في عبور القنوات وتسلق الأسوار والدخول من كل باب لإفساد المجتمع عامة وشبابه بخاصة ، كونوا على بصيرة ، والبصيرة هي العلم .
احذروا اليأس والقنوط ، احذروا العواطف المهيجة بغير علم ، فالعواطف بلا علم تنقلب عواصف .
معاشر من يتولى تربية الشباب : اجتهدوا في دعوة الخير ونشر الخير وابشروا وأملوا بالأجر من الله تعالى والدعاء من الآباء والأمهات .
واعلموا أن أولئك النشء بذرةٌ جعل الله تعالى غرسها على أيديكم فاحسنوا غرسها وتعاهدوا ســـقايتها حتى تؤتي أكلها على بصيرة ، فنرى الداعية بعلم ، ونرى الشاعر بعلم ، والخطيب بعلم،والواعظ بعلم .
معاشر المصلحين : لينوا في أيدي ناشئتكم ، وكونوا قدوة لهم بأقوالكم وأفعالكم وجميع شأنكم ، فأثر ذلك ينعكس عليهم ، ومن سَنّ سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة .

كما أن على الناشئة أن يبذلوا جهدهم في إصلاح أنفسهم ومحاسبتها .

شباب الإسلام؛ أنتم أمل أمتكم، فصلاح الأمة بصلاح شبابها واستقامتهم، شباب الإسلام؛ كونوا قدوة خير، وكونوا مفاتيح خير، فبيوتكم تؤمل عليكم، وأسركم تؤمل عليكم، ومجتمعاتكم تؤمل عليكم.

شباب الإسلام: إن من أعظم المواقف لظهور أثركم وتأثركم يكون في مواطن الفتن وحلول النوازل؛ فإذا جاءت النازلة ودهمت المصيبة نظر الناس إليكم وأصغوا إلى حديثكم بعد علمائكم، فكونوا شباب الإسلام على بصيرة من الأمر فأنتم قدوة وإياكم والعجلة المذمومة، كونوا على بصيرة؛ والبصيرة هي العمل بعلم والقول بعلم وبخاصة في مواطن الفتن والنوازل. شباب الإسلام: سلوا الله التوفيق والإخلاص واحرصوا على التثبت في الأمر. احرصوا على المنهج العلمي الموافق لفهم سلف الأمة، الحذر شباب الإسلام من تصرفات تجعلكم موضع الشماتة من أعداء الخير في الداخل والخارج، فشماتة الأعداء توهن النفوس، وتضعف العزائم، وقد كان صلى الله عليه وسلم يتعوذ بالله من ذلك فيقول:((اللهم إني أعوذ بك من شماتة الأعداء)).

شباب الإسلام : ولما كان زمن الفتن والنوازل العظيمة من أشد الأمور وقعاً على الناس حتى يحتار الحليم في أمره ويلتبس على العاقل شأنه وذلك في أول الأمر لعظم شأن المصاب، حتى قيل: عند النوازل والمصائب تذهل النفوس عن النصوص. لما كان الأمر كذلك كان تكاتف المجتمع وتوحد كلمته من الأهمية بمكان، ذلكم لأن التفرق والاختلاف في أوقات المحن والفتن يزيد في تصدع المجتمع وتناحر أهله.

شباب الإسلام : في زمن الفتن وعظيم النوازل تستيقظ نفوس، وتهلك نفوس. تستيقظ نفوس قوم نشدوا الحق وبحثوا عنه وسألوا أهل الشأن عنه، ونفوس هلكت بنظرها بعين بصرها لا بصيرتها، فلم تلتفت إلى غير قناعتها ولم تنظر إلا بعين رأيها، زكت نفسها واتهمت غيرها وزعمت أنها صاحب الغيرة والحمية وأن غيرها أعطى الدنية.

شباب الإسلام : وعوداً على بدء: إن من أعظم الأمور التي تسبب التصدع والتفرق في المجتمع ما يحصل عند حلول النوازل وحدوث الفتن من القيل والقال الذي يغذى بلبن التسرع والجهل والخلو من الدليل الصحيح والنظر السليم .

ويضاف إلى هذا أن من طبيعة الإنسان الضعف الجبلي فيما ينتابه من الضيق والقلق والغضب والتسرع ويتأكّد ذلك الضرر ويزيد أثره الضعف الشرعي علما وعملا وبخاصة عند التباس الأمور في الفتن والنوازل لما كان الأمر كذلك كان من اللازم على المسلم أن يتفطن لنفسه وأن يحذر من تلويث نفسه فيما قد يجر عليه من البلاء ما لا تحمد عقباه في دنياه وآخرته فضلاً عن ضرره المتعد لغيره وإذا كان ذلك كذلك فيذكر ها هنا معالم تضيء للعبد طريقه في أوقات الفتن مستقاة من النصوص وكلام أهل العلم علها أن تكون دلائل خير في غياهب الفتن .

المعلم (١) : لزوم الدعاء :

شباب الإسلام : إن من أعظم المعالم في الفتن؛ أن يبدأ العبد بدعاء ربه، وأن يلزم الضراعة إليه، وأن يسأله الهداية فيما قد يلتبس عليه، وأن يسلك به صراط الذين هداهم الحق.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم مع شريف مترلته ورفعة مكانته يضرع إلى ربه أن يهديه لما اختلف فيه من الحق؛ ففي الصحيح عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من الليل يصلي يقول: ((اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم))

ولقد امتن الله تعالى على أمة محمد صلى الله عليه وسلم بهدايتهم إلى سلوك سبيل الحق عند وقوع الخلاف بين الأمم ((كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم))

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: ((اختلفوا في يوم الجمعة فاتخذ اليهود يوم السبت والنصارى يوم الأحد فهدى الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم ليوم الجمعة، واختلفوا في القبلة فاستقبلت النصارى المشرق واليهود بيت المقدس فهدى الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم للقبلة، واختلفوا في الصلاة فمنهم من يركع ولا يسجد ومنهم من يسجد ولا يركع ومنهم من يصلي وهو يتكلم ومنهم من يصلي وهو يمشي فهدى الله أمة محمد للحق من ذلك، واختلفوا في إبراهيم عليه السلام فقالت اليهود: كان يهودياً وقالت النصارى: كان نصرانياً، وجعله الله حنيفاً مسلماً فهدى الله أمة محمد للحق من ذلك، واختلفوا في عيسى عليه السلام فكذبت به اليهود وقالوا لأمه بهتاناً عظيماً وجعلته النصارى إلها وولدا وجعله الله روحه وكلمته فهدى الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم للحق من ذلك)) انتهى كلامه رحمه الله.

المعلم (٢) : كل أمر بقدر :

إن من أعظم المعالم في وقت النوازل والفتن أن يعلم العبد علم يقين لا شك فيه ولا ريب أن هذا الأمر والنازلة قدر من الله تعالى لا مفر منه ولا مناص عنه ، كما قال تعالى : { **إنَّا كل شيء خلقناه بقدر** } ، وكما قال تعالى : { **وكان أمر الله قدراً مقدورا** } ، فإذا استحضر العبد هذا الأمر وترسخ في نفسه زاد تعلقه بالله تعالى وزاد افتقاره إلى الله تعالى، فيلتجأ إليه ويتضرع بين يديه. كان إبراهيم التيمي رحمه الله تعالى يقول:((اللهم اعصمني بدينك وسنة نبيك من الاختلاف في الحق ومن اتباع الهوى ومن سبل الضلالة ومن شبهات الأمور ومن الزيغ والخصومات)).

المعلم (٣) : مقادير الله لا تكون إلا لحكمه :

إن تلك المقادير التي يجريها الله تعالى في ملكه على اختلاف مكانها وزمانها ونوعها وآثارها لا تكون إلا لحكمة بالغة، ذلكم لأن أفعال الله تعالى لا تكون عبثاً كبعض أفعال المخلوقين، فلله الحكمة البالغة فيما يقدره ويختاره {أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون} { أيحسب أن يترك سدى}.

المعلم (٤) : في تقدير الله خير ولو كان مكروها في نظر كثير من الناس :

ومما ينبغي أن يعلم أيضاً أن المقدور ولو كان مكروهاً في نظر كثير من الناس فإن من لازم حكمة الله تعالى في تقديره أن يكون في عاقبته خير. كما قال تعالى:{ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون}

المعلم (٥) : الحذر من تزكية النفس :

ومن المعالم في الفتن؛ أن يحذر المرء من تزكية نفسه وانتقاص غيره ، { فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى } فيزعم ذلك المزكي لنفسه أنه على صواب وبصيرة . وأنه قد حقق الولاء و البراء والصدع بالحق في نظره وظنه، وأن غيره قد أعطى ا لدنية في دينه وتنازل عن مسَلَّمات في الديانة.

فعلى من كان هذا من شأنه، أن يتثبت في القول وأن يتبصر في الأمر . فلا يلزم أن تكون غيرته على بصيرة . ولا أن يكون غضبه على بصيرة لأن العواطف إذا لم تزمّ بزمام العلم الشرعي انقلبت إلى عواصف على صاحبها، بل ويتعدى ضررها بقدر تأثر وتأثير صاحبها .

قال أبو وائل لما قدم سهل بن حنيف من صفين أتيناه نستخبره فقال : اتهموا الرأي فلقد رأيتُني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرُدّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره لرددت والله ورسوله اعلم

المعلم (٦) : التأني وعدم التعجل في إطلاق الأحكام :

ومن المعالم في الفتن؛التأني والتروي وعدم التعجل في إطلاق الأحكام وتخطئة قوم وتصويب آخرين بل عليه بالنظر والإمعان وليتذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم : " ما صاحب الرفق شيئاً إلا زانه ولا نزع من شيء إلا شانه ((وجاءت كلمة (شيئا) نكره في سياق النفي وهي من صيغ العموم فيكون الرفق خيراً في جميع الأشياء،وليتذكر قوله صلى الله عليه وسلم : ((إن الله يحب الرفق في الأمر كله)) والحديثان في الصحيح ؛ فالرفق يلج بصاحبه إلى باب الخير وهو محمود العواقب ومفهوم المخالفة أن ترك الرفق شين في حق صاحبه وقد يلج بصاحبه إلى أبواب الشر وهو وخيم العواقب.

المعلم (٧) : الحذر من الظنون السيئة :

ومن المعالم في الفتن؛ الحذر من الظنون السيئة ، { يا أيها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم }ورمي المخالفين له بالتهم وتنقصهم والهمز واللمز ، { ويل لكل همزة لمزه } ، ألا فليتق العبد ربه وليعلم أنه مسئول عن ذلك كله حتى وإن كان قوله قد وافق الحق، فكيف إذا كان قوله مخالفاً للحق مصادماً له، ألا فليجعل نصب عينيه وعيد الله تعالى ونهيه لمن تهكم وتنقص {ويل لكل همزة لمزة} {يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم}.

المعلم (٨) : وجوب الإمساك والكف عن الخوض فيما ليس للعبد به علم :

ومن المعالم في الفتن؛ وجوب الإمساك والكف عن الخوض فيما لا علم للعبد به وليتذكر نهي الله لنبيه صلى الله عليه وسلم:{ولا تقف ما ليس لك به علم} فإذا كان هذا في مقام النبي صلى الله عليه وسلم فكيف بالصحابي فكيف بالتابعي فكيف بمن دونهم في الفضل والعلم فعلى العبد أن يمسك لسانه وقلمه وبخاصة في إطلاق الأحكام العقدية أو الأحكام التكليفية، فمسائل التكفير والتبديع والحل والحظر من الخطورة بمكان، ألا فليتق الله تعالى من أطلق للسانه وقلمه العنان فأخذ يتخوض في شرع الله ما لا علم له به فأوجب ما لم يوجبه الله أو حرم ما أحل الله أو أحل ما حرم الله، وليعلم أن ذلك الذنب العظيم والكذب المفترى {ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون}. وليتذكر المسلم أيضاً خطورة القول على الله بلا علم، قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى:(وقد حرم الله سبحانه القول عليه بغير علم في الفتيا والقضاء وجعله من أعظم المحرمات بل جعله في المرتبة العليا منها فقال تعالى:{قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون} ثم قال رحمه الله تعالى:(فرتب المحرمات أربع مراتب وبدأ بأسهلها وهو الفواحش ثم ثنّى بما هو أشد تحريماً منه وهو الإثم والظلم ثم ثلّث بما هو أعظم تحريماً منهما وهو الشرك به سبحانه ثم ربّع بما هو أشد تحريماً من ذلك كله وهو القول عليه بلا علم، وهذا يعم القول عليه سبحانه بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله وفي دينه وشرعه) ثم نقل رحمه الله تعالى عن بعض السلف قوله:(ليتق أحدكم أن يقول أحل الله كذا وحرم كذا فيقول الله له: كذبت لم أحل كذا لم أحرم كذا). إعلام الموقعين ١/٣٨-٣٩

المعلم (٩) : التعويل على العلماء الراسخين :

ومن المعالم في الفتن؛ أن يعول المسلم على العلماء الراسخين المشهود لهم بالعلم والديانة فأولئك الذين تعبدنا الله تعالى بسؤالهم عند الجهل والتباس الأمور {فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون} ومما يزيد هذا تأكيداً قوله تعالى:{وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم}

قال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى:(وفي هذا دليل لقاعدة أدبية وهي أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور ينبغي أن يولى من هو أهل لذلك ويجعل إلى أهله ولا يتقدم بين أيديهم فإنه أقرب إلى الصواب وأحرى للسلامة من الخطأ) انتهى كلامه رحمه الله تعالى .
شباب الإسلام : إن مما يزيد الفتنة استعارا والخلاف شقة والجماعة تناحراً وتفرقا إذا وكل الأمر في الفتن إلى غير العلماء وخرجت الآراء من هناك وهناك ولم يعول على قول العلماء الذين تعبدنا الله بسؤالهم ويبلغ الشر والفساد أوجه إذا رمي العلماء بالتهم والطعن في فقههم بل وفي عقائدهم .

المعلم (١٠) : قبول الحق من كل أحد ولو كان بعيداً بغيضا ، ورد الباطل على كل أحد ولو كان حبيباً قريبا :

شباب الإسلام : ومن معالم الفتن والنوازل خصوصا وغيرها عموما قبول الحق من كل أحد ، ذلكم لأن الحق ضالة المؤمن أنَّى وجدها تمسّك بها ، وإنّ من مداخل الشيطان على بعضهم عدم قبول الكلام بل وحتى سماعه إذا جاء ممن يخالفه في منهج أو رأي ، وعلى النقيض من ذلك تراه يفتح صدره قبل بيته لسماع من يوافق منهجه ناهيك عن قبول كلامه دون التحري فيه ، وهذا عياذاً بالله من اتباع الهوى ويخشى أن يكون ممن زُيِّن له سوء عمله ، فالحذر شباب الإسلام من هذا العمل المشين أعاذنا الله تعالى جميعا منه .
ورد عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قوله : (من جاءك بالحق فاقبل منه وإن كان بعيداً بغيضا ، ومن جاءك بالباطل فأردد عليه وإن كان حبيباً قريبا) حلية الأولياء ١/١٣٤ .
ولشيخ الإسلام رحمه الله تعالى كلام قيّم حول هذا المعلم ، قال رحمه الله تعالى ما نصه : (.... وقال تعالى : { وإذا قيل لهم ءامنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق ... الآية } بعد أن قال (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ، فوصف اليهود بأنهم كانوا يعرفون الحق قبل ظهور النبي الناطق به والداعي إليه فلما جاءهم النبي الناطق به من غير طائفة يهوونها لم ينقادوا له ، فإنهم لا يقبلون الحق إلا من الطائفة التي هم منتسبون إليها مع أنهم لا يتبعون ما لزمهم في اعتقادهم .
وهذا يُبتلى به كثير من المنتسبين إلى طائفة معينة في العلم أو الدين من المتفقهة أو المتصوفة أو غيرهم أو إلى رئيس معظم عندهم في الدين غير النبي صلى الله عليه وسلم فإنهم لا يقبلون من الدين لا فقها ولا رواية إلا ما جاءت به طائفتهم ، ثم إنهم لا يعلمون ما توجبه طائفتهم مع أن دين الإسلام يوجد اتباع الحق مطلقا رواية وفقها من غير تعيين شخص أو طائفة غير الرسول صلى الله عليه وسلم) . اقتضاء الصراط المستقيم ص٧-٨ .

المعلم (١١) : العواطف بلا علم تنقلب عواصف :

شباب الإسلام ؛ ومن معالم الفتن والنوازل: الحذر من أن تكون تصرفات بعضكم مفتاحا تزيد الفتنة ضرراً والنار استعاراً، ومثال ذلك: أن بعض الناس بدافع الغيرة والإصلاح ما إن تقوم فتنة بل ما إن تلوح بوادرها في الأفق حتى يسارع في إقحام نفسه بالتدخل فيها دون سؤال وبصيرة، بل بدافع العاطفة والعجلة المذمومة، ذلكم لأنه نصّب نفسه وزكى رأيه ولم يلق بالاً إلى من تقدمه في العلم والسن.

شباب الإسلام ؛ ومما يؤكد من التحذير في زيادة فتح أبواب في الفتن قوله صلى الله عليه وسلم (إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه)

شباب الإسلام؛ وإن مما يؤخذ من التصرفات المشينة في أوقات الفتن، بل وتزيد في إذكاء نار الفتنة ما يثير الشحناء والتقاطع بين أمراء المسلمين وعامتهم، وكذلك ما يثير الشحناء والتقاطع بين عامة المسلمين وكبار علمائهم وذلك بتهميش دور كبار علمائهم بل ورميهم في نياهم ومقاصدهم، ومن التصرفات المشينة أيضاً التي تزيد الفتنة ضرراً إدخال اليأس والقنوط والتشاؤم على الناس.

شباب الإسلام : ولما كان صحابة النبي صلى الله عليه وسلم أدرى الناس بفهم النصوص وأقرب الناس لواقع التتريل كانوا رضي الله تعالى عنهم أحذر الناس عند مواقع الفتن، وأسرع الناس بعداً عما يزيد شرها وضررها؛ فقد ذكر التاريخ أن أهل الفتنة والفساد لما خرجوا على عثمان رضي الله تعالى عنه، واتسعت دائرة الفتنة وعظمت، جاء رجل إلى أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما فقال له: ألا تكلم هذا – يعني عثمان رضي الله تعالى عنه - قال أسامة: (قد كلمته ما دون أن أفتح باباً أكون أول من يفتحه، وما أنا بالذي أقول لرجل بعد أن يكون أميراً على رجلين أنت خير بعدما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (يجاء برجل فيطرح في النار فيطحن كما يطحن الحمار برحاه، فيطيف به أهل النار فيقولون:أي فلان ألست كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: إني كنت آمر بالمعروف ولا أفعله، وأنهى عن المنكر وأفعله)).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: قال المهلب: (أرادوا من أسامة أن يكلم عثمان وكان من خاصته، وممن يَخْفَ عليه في شأن الوليد بن عقبة لأنه ظهر عليه ريح نبيذ وشهر أمره، وكان أخاً لعثمان لأمه وكان يستعمله، فقال أسامة: قد كلمته سراً دون أن أفتح باباً، أي باب الإنكار على الأئمة علانية خشية أن تفترق الكلمة ثم عرّفهم أنه لا يداهن أحداً ولو كان أميراً) فتح الباري ، حديث ٧٠٩٨ .

فانظروا معاشر المسلمين: معاشر شباب الإسلام؛ كيف كان فقه شباب الصحابة فضلاً عن شيوخهم رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

المعلم (١٢) : المجيء للعلماء لاستفتائهم لا لإفتائهم :

معاشر شباب الإسلام : ومن معالم الفتن والنوازل: وهو متعلق بما قبله عدم التثريب واللوم على بعض كبار العلماء الذين لا يكون لهم قول في بعض الفتن وبخاصة الفتن الكبيرة، ذلكم معاشر شباب الإسلام أن الأمر لم يتضح له بعد أو لم تترجح مصلحته من مفسدته، فمثل هذا من الديانة الواجبة عليه لزوم التوقف حتى يتبين له الأمر، وقد بين صلى الله عليه وسلم أن بعض الفتن تجعل الحليم حيرانا، وأيضاً شباب الإسلام فقد يكون للعالم الكبير فتوى تخالف فتوى عالم آخر قد أفتى في تلك النازلة وطار بفتواه كثيرون، وتحمسوا لها بل جعلها بعض المتحمسين لها هي الحق بعينه واتهم من خالفها وسعى في ذلك وأجلب عليها بخيله ورجله، وأقنع كثيراً من دهماء الناس بها، فبالله عليكم معاشر المسلمين إذا جاءت شريحة من أولئك الذين لا يرون حقاً إلا بتلك الفتوى جاء أولئك إلى عالم كبير راسخ في العلم يرى ديانة أن تلك الفتوى تخالف الصواب وزادها خطأً تلقّف أولئك المتسرعين لها واتهام من خالفها فعندما يأتي أولئك إلى هذا العالم الذي يرى خلاف ما عندهم فيمسك عن جوابه تورعاً، ذلكم لأنه يعلم أن بعض السائلين يأتي العلماء ليفتيهم لا ليستفتيهم، وقد ظهر ذلك جلياً في مواطن كثيرة، فعندما أفتى بعض العلماء بفتاوى تخالف ما تحمس له الكثيرون لم يسلموا من الطعن والاتهام، و والله إن من جاء إلى أهل العلم بهذه الصورة متحمساً لما عنده غير قابل ولا معتذر لمن خالف ما عنده، فلا يخلو من أنه جاهل أو صاحب هوى أو يسعى للوقيعة بين المسلمين وعلمائهم وهو في جميع تلك الأحوال قد فتح باب شر وأغلق باب خير شاء أم أبى.

المعلم (١٣) : التماس الأعذار لأناس دون العلماء بينما اللوم والعتب على العلماء :

شباب الإسلام؛ وإن من معالم الفتن والنوازل ما يلاحظ على بعض بل كثير من الغيورين من التماس العذر لأناس دون العلماء منزلة وديانة فيما يظهر، يخطئ أحد أولئك أو يقول خلاف ما تحمس له الكثيرون فلا يعرجون على قوله بل يتحاشون ذكره، فإن جاء ذكره رغماً عنهم التمسوا له العذر وذكروا أثره وفضله، بينما لا ترى لتلك المحامل أثراً عندما يكون المخالف لهم أحد كبار علمائهم، بل والله قد يُسمع الطعن في علمه وفقهه، بل وفي دينه وأمانته، أيا عجباً من هذا التناقض، بل من ضعف البصيرة والديانة، فهذا والله من صور اتباع الهوى، وهو نذير شر وفتنة.

إذا اعتادت النفس الرضاع من الهوى فإن فطام النفس عنه شديد

يا شباب الإسلام لنحاسب أنفسنا بصدق، ولنحذر مخادعة أنفسنا، وسترون من الله ما يشرح صدوركم.

المعلم (١٤) : تحميل العلماء لكل خطأ يقع :

شباب الإسلام : أن ربط كل خلل يحدث في المجتمع سواء كان انحرافا في سلوك أو إشاعة لمنكر أو غير ذلك إن ربط ذلك بالعلماء فيه حيف وجور ، ورمي لهم بالبهتان .

فقد وقع في بلاد المسلمين حوادث كثيرة بذل العلماء جهودا في تنبيه الناس وتحذيرهم ، ومع هذا كله وقعت تلك الأمور .

فكم حذر العلماء وبيّنوا مشافهة أو كتابة أو خطابة حكم الربا والزنا والعقوق والظلم والبدعة ومع ذلك كله لم يقلع عن ذلك كل أحد ولا يلزم من هذا تلوث ذمة العلماء أو تقصيرهم في واجب البيان ولو كانت براءة الذمة في حق دعاة الخير مستلزمة لعدم وقوع المدعوين في المعاصي لما سَلِم من ذلك أحد حتى أنبياء الله تعالى ورسله عليهم الصلاة والسلام ، ولكن براءة الذمة تكون بالبلاغ مع التغيير حسب القدرة ، وكذلك ما يتعلق بالفكر المنحرف فقد بيّنوا وحذّروا .

ويقال أيضاً كما قيل سابقاً إن خروج هذا الفكر لا يلزم منه تقصير العلماء .

وبالمثال يتضح المقال : فقد خرج شراذم الخوارج في زمن كانت فيه شريحة كبيرة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

قام أولئك النشاز من أهل الفكر المنحرف بالإفساد في المجتمع إفسادا عقائديّا وبدنيّا وماليّا ، فأشاعوا الفوضى ولطّخوا وجه التاريخ ، فهل يُقال أو يُتصور أن خروجهم كان بسبب تقصير الصحابة رضي الله تعالى عنهم ؟ حاشا وكلا ولا لعل .

إذا فالله الله في النظر إلى الأحداث وأسبابها بعين البصيرة لا بعين البصر المجرد ، وليتق العبد ربه فيما يقول وفيما يكتب .

المعلم (١٥) : الطعن في العلماء عون لأعدائهم في الداخل والخارج :

شباب الإسلام؛ إن الطعن في العلماء وإسقاط منزلتهم فيه قيام بأمر يتمناه شراذم من الخلق في الداخل والخارج، فاليهود وأذنابهم من أهم أهدافهم إسقاط منزلة العلماء ليفتح لهم الباب في غزو مجتمعات المسلمين؛ فقد جاء في بنود مخططات اليهود ما نصه:(وقد عنينا عناية عظيمة بالحط من كرامة رجال الدين في أعين الناس، وبذلك نجحنا في الإضرار برسالتهم التي كان يمكن أن تكون عقبة كؤودا في طريقنا وان نفوذ رجال الدين على الناس ليتضاءل يوماً فيوما) معاشر المسلمين، هكذا قالت اليهود، وهكذا سعوا لما أرادوا لعلمهم بمدى ثقة المسلمين بعلمائهم وترسُّخ تلك الثقة في سويداء قلوب المسلمين. قال بعض الكتّاب الغيورين:(وقد تكاتفت جهود الصليبية واليهودية ومن تبعها للإجهاز على سمعة العلماء وعلى مر السنين وتقادم العهد آتت هذه الجهود أكلها وجنت ثمارها فأقامت أمة الإسلام على شريحة من أبناء جلدتها صنعت على أعين أعداء الإسلام فنظرت تلك الشرذمة إلى العلماء نظرة الناقد الحاقد، فسخروا أقلامهم، وشمروا عن سواعدهم، واتهموا العلماء بأنهم قوم رجعيون جامدون متخلفون، فإلى الله المشتكى) انتهى كلامه وفقه الله تعالى وبارك في قلمه.

شباب الإسلام؛ ولا يخفاكم ما للعلمانيين ومن حذا حذوهم من الحداثين الحاقدين على تعاليم الإسلام من سعيهم جادين في التشكيك في منزلة العلماء والسعي في إسقاطها، وهذا معروف في قصائدهم

ومقالاقم، وقدوقم في ذلك شراذم يهود كما سلف، فالحذر الحذر معاشر المسلمين معاشـر شـباب الإسلام، الحذر من أن نسعى لخدمة مقاصدهم بجهلنا فيفرحون أي فرح بذلك لعلمهم بتحقيق مآربهم من طرق كانوا يخشونها عقبة في طريقهم فأصبحت جسراً أو قناة إلى مقصدهم .

إذاً فالحذر الحذر شباب الإسلام من القدح في علمائكم ، وليعلم أولئك القادحون في العلماء - سواء كان القدح من طرف جلي أو من طرف خفي - أنهم بقدحهم ولمزهم ذلك قد وقعوا في محاذير كثيرة منها :

١- إعانة أهل الشر على إسقاط مترلة العلماء ، بل إن معاولهم أشد فتكا من معاول أهل الـضلال ، فنقب الحصون من داخلها أعظم من نقبها من خارجها .

٢- ومنها أنهم يبؤون بإثم من يتأثر بكلامهم من عامة الناس أو شبابهم .

ومنها أنهم لم يسلكوا المسلك الشرعي – على التترل بصحة قولهم – من المناصحة ،

المعلم (١٦) : مدح العالم عند بعضهم موقوف على موافقة فتواه لما يريد ذلك المادح :

شباب الإسلام؛ وإن من معالم الفتن المتعلقة بفتاوى العلماء ما يحصل من بعض الغيورين من مدح العالم إذا وافقت فتواه ما تهوى أنفسهم، والقيام بنشرها وترويجها بين الناس، فإذا ما وقعت نازلة أخرى وأفتى فيها ذلك العالم نفسُه بفتوى لا توافق ما يريده بعضهم، لم يلق لتلك الفتوى صدى كأختها الـسابقة، بل عسى العالم أن يسلم من المؤاخذة على ذلك. يا شباب الإسلام كونوا وأنتم كـذلك إن شـاء الله تعالى أبعد الناس عن تلك الصفات المشينة القبيحة فحذروا من وقع مـن إخـوانكم وانـصحوا لهـم وذكروهم بمغبة هذا الأمر، وأنه يخالف ما أمر الله تعالى به من العدل في القول (وإذا قلـتم فاعـدلوا)، فأين العدل عند من يحب من وافق رأيه ولو كان الموافق جاهلاً، ويبغض من أفتى بخلاف رأيه ولو كان المخالف عالماً، وأين العدل عند من يسعى لنشر ما يوافق مراده، ويكتم أو يقلل من شأن من خـالف مراده، واعلموا رعاكم الله تعالى أن هذا التصرف المشين يحجب كثيراً من أبواب الخير والفضل، فقـد يكون سبباً في محق بركة العلم وبركة الحفظ وبركة الفهم، بل وقد يتعدى ذلك وهو من لوازمه إلى قلة الخشوع في الصلاة، وقد يزيد ضرره إلى نفور الناس منه وعدم قبولهم لسماع كلامهـم فـضلاً عـن اقتناعهم به.

المعلم (١٧) : الفتيا ليست مشاعة لكل أحد :

شباب الإسلام ؛ من معالم الفتن مما ينبغي التفطن والتنبه لها أن الفتيا ليست مشاعة لكل أحد، وإن مما بليت به أمة الإسلام أن بعض محبي الخير إذا فتح له باب في التأثير على الناس كموهبة في الكتابة أو فصاحة في الخطابة أو قريحة في الشعر صدر نفسه للفتيا وأطلق الأحكام بالحل والحرمة والتبديع والتكفير، وهذا الأمر من أعظم المصائب، ويزداد شر المصيبة إذا التبس على الناس علمه، وعلى شباب الإسلام بخاصة عدم التفريق بين العالم الذي أمرنا الله تعالى بسؤاله وبين غير العالم. شباب الإسلام: إن

موهبة الخطابة والكتابة والفصاحة وكثرة العبادة، كل ذلك من أبواب الخير والفضل، إذا كان صاحبها على علم، لكن مع ذلك كله تبقى الفتيا – وبخاصة في الأمور الكبيرة – موقوفة على العالم المعروف بصحة المعتقد وسلامة المنهج والرسوخ في العلم، وهذا اللبس – عدم التفريق بين العلماء وغيرهم – جر على كثير من مجتمعات المسلمين نكبات وويلات في وقت هم أحوج ما يكونون إلى التكاتف والترابط.

المعلم (١٨) : من أسباب زيادة الفتنة أن يتصدر من لم يعرف بعلم :

شباب الإسلام ؛ إنّ تصدر بعض الناس – ممن لم يعرفوا في العلم فضلاً عن التضلع فيه – إن تصدرهم لمجالس الفتيا وإصدار الفتاوى المجردة عن الدليل الشرعي – بسبب عاطفة جياشة أو محاكاة لآخرين – أضاع كثيراً من الجهود، وكان سبباً في إغلاق أبواب من الخير وفتح أبواباً من الشر. شباب الإسلام: وعلى هذا؛ فعلى من اراد الإصلاح أن يتريث إذا التبست الأمور، وليحذر من الأخذ بكل ما يسمع، ولو كان معجباً بالمتكلم، وكان كلامه يأخذ بالألباب، فكل هذا لا يشفع لأخذ كلامه بالقناعة التامة، فمنزلة العالم لا يبلغها المتكلم والخطيب، ولا يكاد، إذا كان عازفاَ عن طلب العلم الشرعي. كذلك على من أراد الإصلاح ممن أوتي حظاً في الخطابة أو الكتابة ونحوهما، وحسن ظن الناس فيه، لخلقه وسمته، أن يعرف قدر نفسه، فلا يفتي بغير علم، ولا يستنكف أو يستحيي من قول: لا أدري، لئلا يورد نفسه وغيره موارد الزلل، وبإمكانه أن يرشد إلى أهل العلم فيما لا علم له به، فيكون دالا على خير عظيم، فضلاً عن استبرائه لدينه.

المعلم (١٩) : حشد الأدلة لا يلزم منه صحة القول :

شباب الإسلام؛ إن مما يؤخذ على بعض شباب الإسلام أنهم متى ما سمعوا أو قرأوا لمتكلم أو كاتب حشد أدلة ينتصر بها لقوله ثم أخذ يدلل ويعلل أخذوا قوله بالتسليم المطلق وانتصروا له ودافعوا عنه، ولم يلتفتوا إلى ما سواه بل نبذوا ما خالفه وردوه بل قد يصل الحال ببعضهم إلى اتهام من خالف ذلك القول والطعن في دينه ونيته.

شباب الإسلام: إن هذا المنهج ذو عوج، فقد يأتي آخرون ينتصرون لقول يخالف ذلك القول الذي تمسكتم به، فكيف يكون حالكم إذا اتهمكم مخالفوكم وطعنوا في دينكم ورموا مقاصدكم بالسوء، أترضون هذا؟! إذن فالحذر الحذر من العجلة وتبني الأقوال والانتصار لها دون ردها إلى أهل العلم والفقه في النصوص.

المعلم (٢٠) : الحذر من الجدال العقيم مع المخالف :

شباب الإسلام: وإن مما ينبغي الحذر منه والتفطن له ما يحصل من بعض الناس من كونهم يستفتون أحد أهل العلم فإذا وجدوا قوله مخالفاً لما يريدون أخذوا يجادلون ويجادلون بل قد يسيء بعضهم الأدب مع العالم المسئول إذا لم يتراجع عن قوله. يا سبحان الله أين أدب طلب العلم، وأين الأدب في المناظرة مع

من هو في مثل علمك وعمرك، فكيف إذا كان أكبر منك سناً وأكثر منك علماً، الحذر من هذا الصنيع، فإنه يمحق بركة العلم والفهم، قال صلى الله عليه وسلم:(من طلب العلم ليجاري به السفهاء أو يماري به العلماء أو يصرف وجوه الناس إليه فليتبوأ مقعده من النار) أخرجه الترمذي عن كعب بن مالك.

المعلم (٢١) : الحذر من استحسان أمور قبل سؤال العلماء عنها :

شباب الإسلام؛ ومن المعالم في الفتن الحذر مما وقع فيه بعض الصالحين عن حسن نية مصحوبة بجهل وعاطفة، ذلك الأمر هو استحسان أمور وإشاعتها بين الناس والوصاية بها دون سؤال العلماء عنها، كقول بعضهم:(وحّدوا الدعاء هذا اليوم على عدوكم) أو (وحدوا دعاءكم عند إفطاركم) أو (صوموا غداً تضامناً مع إخوانكم).

شباب الإسلام؛ إن من الواجب شرعاً لزوم النص الشرعي وعدم مجاوزته، ويزداد ذلك الواجب تأكيداً في أزمنة الفتن والنوازل، ذلكم لأنه كما قيل:(عند النوازل تذهل النفوس عن النصوص) فقد تغلب المرء عاطفته أو قناعته أو محاكاته لآخرين فيكون منقاداً لذلك ومستحسناً لما يزيد عاطفته وقناعته محاكاته، وهذا معاشر شباب الإسلام من الجهل والتسرع المدفوع بحسن القصد، ومن المعلوم شباب الإسلام بل من المقرر شرعاً: أن حسن القصد وصلاحه لا يشفع لحسن العمل وصلاحه، ومثال ذلك أيضاً أن يرى أحدهم منكراً فتثور حميته وغيرته فيقدم على الإنكار بلا علم ولا سؤال بل دفعته غيرته إلى المبادرة بالإنكار والتغيير، فمثل هذا لا يشفع له صلاح قصده وقوة حميته وغيرته على طريقة إنكاره، وقس على هذا ما يتعلق بنشر الخير عموماً؛ فلا يجوز لأحد إحداث طرق وأساليب ما أنزل الله به من سلطان، ومما يزيد في الضرر الناشيء من جُرّاء ذلك إذا كان المتبني لتلك الأساليب من المحسوب على الصالحين.

ألا فليتق الله تعالى كل منا في نفسه وليحذر من مجاراة عاطفته وقناعته دون بصيرة بالعلم وسؤال أهله، وليعلم هذا وأمثاله أن من أسباب نشوء بعض البدع وخفاء بعض السنن، مطاوعةَ المرء لما تهوى نفسه وسلوك أي سبيل في تحقيق ذلك، ولا يخفاكم معاشر شباب الإسلام أن شر البدع وخيم ففي أول أمرها يستسهلها الناس ثم مع تواطء عملهم يستحسنونها ثم مع تقادم الزمن عليها يتمسكون بها بل ويدافعون عنها، ثم يزيد شرها وضررها إذا دخلت في أصول الديانة، ذلكم شباب الإسلام أن البدع إذا دخلت في الفروع سهلت مداخلتها في الأصول فهي كالجناية تكون في طرف البدن فيسري أثرها ويزداد ألمها حتى تنهك الجسد كله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية معدداً مفاسد البدع :(ومنها أن القلوب تستعذبها وتستغني بها عن كثير من السنن حتى تجد كثيراً من العامة يحافظ عليها مالا يحافظ على التراويح والصلوات الخمس، ومنها أن الخاصة والعامة تنقص بسببها عنايتهم بالفرائض والسنن وتفتر رغبتهم فيها، فتجد الرجل يجتهد فيها ويخلص وينيب ويفعل فيها ما لا يفعله في الفرائض والسنن حتى

كأنه يفعل هذه البدعة عبادة، ويفعل الفرائض والسنن عادة ووظيفة، وهذا عكس الدين، ومنها ما في ذلك من مصير المعروف منكراً والمنكر معروفاً، وما يترتب على ذلك من جهالة أكثر الناس بدين المرسلين... إلى أن قال رحمه الله تعالى:(ومنها مسارقة الطبع إلى الانحلال من رتبة الاتباع وفوات سلوك الصراط المستقيم) ثم قال رحمه الله تعالى:(ثم هذا مظنة لغيره فينسلخ القلب عن حقيقة الاتباع للرسول ويصير فيه من الكبر وضعف الإيمان ما يفسد عليه دينه أو يكاد وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً) انتهى كلامه رحمه الله تعالى، (اقتضاء الصراط المستقيم) ،

وهو كلام يدل على عمق في فهم نصوص الشريعة ومقاصدها فرحمه الله تعالى وأجزل مثوبته.

شباب الإسلام؛ والذي يرى حال انتشار البدع في عالمنا الإسلامي يرى مصداق ما ذكره شيخ الإسلام؛ فللبدع رايات مرفوعة وأعلام منصوبة، والمنكر على أصحابها مذموم مدحور عند اتباعها، ذلكم لأنهم رضعوا لبانها صغاراً وتمكنت من نفوسهم شبابا وأصبحوا من المقيمين عليها الداعين لها شيباً وشباباً.

المعلم (٢٢) : الحذر من التوسّع في شأن الرؤيا :

شباب الإسلام؛ ومن المعالم في الفتن الحذر من الإيغال في شأن الرؤى المنامية وجعلها حديث مجالس فتبنى عليها آمال ويخشى بل قد يقطع بها على حدوث آلام. شباب الإسلام؛ إن مما يلحظ في زمن الفتن والنوازل الإكثار من الحديث عن الرؤى المنامية وانتشار خبرها ومسارعة الألسنة في بثها وسرعة وتلقف الآذان لها حتى أصبح الحديث عنها أكثر من الحديث عن النصوص الشرعية قرآنية كانت أو نبوية بل قد يسارع بعض الغيورين إلى الجزم بوقوع ما عبرت به الرؤيا جزماً قطعياً دون تردد أوشك، وهذا المنهج ذو عوج وبيان ذلك من أمور:

أولها: أن الرؤيا داخلة في دائرة الظن إلا بقرائن.

ثانيها: إذا تنزل بصدق الرؤيا- فكيف يسلّم ويجزم بصحة تأويلها، وأن هذا التأويل لا محيد عنه ولا مناص عنه.

شباب الإسلام؛ كم سمعنا عن رؤى عبرت، وجزم بتعبيرها وأحياناً بتاريخ معين، وتعلقت قلوب الكثيرين بذلك، وبعد التبين ظهر أن ذلك التعبير والتأويل ضرب من التخرص والتسرع.

شباب الإسلام؛ وليس العجب في ذلك المتأول المتخرص المتسرع بالجزم، إنما العجب في سرعة خبر النقلة عنه وإشاعة تأويله وكأنه آية، بل آية محكمة لا تقبل النسخ، لكن هذا العجب يزول إذا علمنا أن أسباب ذلك المتسرع في التأويل أو ذلك التسرع في نقل الخبر يعود إلى محاكاة العواطف الجياشة مع ضعف البضاعة العلمية.

شباب الإسلام؛ إن من المعلوم بنصوص الشريعة أن ما يراه النائم فيه ما يكون رؤيا صادقة وفيه ما يكون حديث نفس أو أضغاث أحلام، ثم ما يراه من الرؤى الصادقة قد تكون دليلاً على خير فيتفاءل،

وقد تكون دليلاً على نذير شر فيحاذر، لكن المحذور هنا أن يجزم بوقوع تلك الرؤيا وتحديد زمانها، فذلك من الخلل بمكان ويزيد ذلك الخلل إذا بني على تلك الرؤيا أحكام شرعية.

شباب الإسلام؛ لقد أوضح أهل العلم وبينوا ما يتعلق بالرؤى لعموم البلوى بها وكان مما خصوه بالتنبيه والتحذير بناء الأحكام عليها، فمن ذلك ما قاله الشاطبي رحمه الله تعالى:(وعلى الجملة فلا يستدل بالرؤيا في الأحكام إلا ضعيف المنة، نعم يأتي المرئي تأنيساً وبشارة ونذارة خاصة بحيث لا يقطعون بمقتضاها حكماً ولا يبنون عليها أصلاً، وهو الاعتدال في أخذها حسبما فهم من الشرع فيها والله أعلم) الاعتصام ٣٥٧/١ .

المعلم (٢٣) : الحذر من رواية الأحاديث المكذوبة :

شباب الإسلام؛ ومن المعالم في الفتن والنوازل، الحذر مما وقع فيه بعض الناس من تداول الأحاديث المكذوبة وبخاصة في أوقات الفتن، فغرائز كثير من الناس تدفعهم إلى التشوق لتلك الأحاديث ويزداد تشوقهم إليها وتعلقهم بها إذا تضمنت تلك الأحاديث ما يقارب النازلة ويشابهها لفظاً أو مكاناً أو زماناً مما يجعل لتلك الأحاديث رواجاً وتأثيراً في أوساط الناس.

ألا فاحذروا شباب الإسلام من الاستشهاد بأحاديث لا تعلمون صحتها وبخاصة في أوقات الفتن والنوازل فإن نفوس كثير من الناس تتوق إلى كل ما له علاقة بنازلتهم فما أن تتلقف أسماعهم خبراً حتى يتسابقون في نشره وإشاعته مشافهة ومهاتفة ومكاتبة ، ناهيكم عن بناء الأحكام والنتائج عليه .

شباب الإسلام: لقد أكثر علماء الإسلام بعامة وعلماء الحديث بخاصة من بيان خطورة سياق الأحاديث ونسبتها إلى النبي صلى الله عليه وسلم دون علم بثبوتها، إمامهم في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم:(إن كذباً علي ليس ككذب على أحد، فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه ثم ساق مسلم رحمه الله تعالى ما أوصى به إياسُ بن معاوية سفيانَ بن عندما قال له إياس:(احفظ علي ما أقول لك: إياك والشناعة في الحديث فإنه قلما حملها أحد إلا ذل في نفسه وكذب في حديثه)

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى:(ومعنى كلامه أنه حذره أن يحدث بالأحاديث المنكرة التي يشَنّعُ على صاحبها ويُنكَر ويُقبَح حال صاحبها فيكذّب أو يستراب في رواياته فتسقط مترلته ويذل في نفسه انتهى كلامه رحمه الله تعالى، (شرح مقدمة صحيح مسلم) ،

وكلام العلماء المحدثين في هذا الباب كثير جداً.

المعلم : (٢٤) : الحذر من العجب :

شباب الإسلام : ومن المعالم في الفتن والنوازل الحذر من العجب، معاشر شباب الإسلام: وللعجب في أوقات الفتن صور كثيرة؛ .

فمن صور العجب/ الاعتداد بالرأي واتهام المخالفين.
ومن صور العجب/ عدم سماع النصح من المخالف له في بعض رأيه فضلاً عن المخالف له في رأيه كله، ناهيكم عن نوع جداله مع من خالفه .
ومن صور العجب/ عدم التراجع عن الخطأ عند بيان أخطائه وفساد تصوراته وتوقعاته، فيصعب عليه التراجع بل تأخذه العزة بالإثم فيلتمس الأعذار لنفسه ويبحث عن المآخذ على رأي مخالفه.
ومن صور العجب أيضاً/ الفرح بمن يؤيد قوله وموالاته، والكدر بمن يعارض قوله ومعاداته.
شباب الإسلام؛ ويجمع هذه الصورة وغيرها قوله صلى الله عليه وسلم: (الكبر بطر الحق وغمط الناس)

المعلم (٢٥) : الحذر من الغفلة عن الأعمال الصالحة في أوقات الفتن :

شباب الإسلام؛ ومن المعالم في الفتن والنوازل الغفلة والإهمال عن كثير من الأعمال الصالحة على حساب كثرة الكلام أو فضوله، ففي مواطن الفتن والنوازل تشغل كثير من النفوس بتتبع الأخبار بل وبالتولع والرغبة الجامحة في متابعة أقوالها وصورها ومن ثَمَّ تكون حديث مجالسة وتكون هجيراه صباحاً ومساءً: سمعت ورأيت وأتوقع ولو كان كذا لكان أولى، ولو قدم هذا لكان أحرى، ولو أخر هذا لكان أجدر، فيبقى هكذا طيلة أيام النازلة مما يجعله يغفل عن كثير من الطاعات المستحبة بل قد يصل أحياناً إلى التفريط أو التأخير عن بعض الواجبات الشرعية كنوم عن فريضة بسبب طول السهر، وتأخر عن فريضة بسبب طول الجدل، وتأخر عن دوام وظيفي والإخلال به، ناهيكم عن تضييع بيته وأولاده، وكل ذلك بسبب كثرة سهر في قيل وقال، أو متابعة قنوات أو الإغراق في تصفح جرائد ومجلات، ولا تسأل عن بعض أولئك الذين وصل بهم الحال زيادة على ما سبق إلى التعلق بتلك القنوات تعلقاً تاماً حتى ملكت عليه نفسه ووقته حتى بلغ بهم الأمر إلى حد الإدمان والانقطاع الكامل في متابعة تلك القنوات، والتنقل بين مواقعها فأصبح أسيراً لها لا يستطيع الانفكاك عنها ولا التخلص منها، فالحذر الحذر معاشر المسلمين، الحذر الحذر شباب الإسلام من ذلك كله فإن كان لا بد فليكن الأمر بقدر وحذر مع مراعاة المصالح الشرعية.

المعلم (٢٦) : الحذر من الإيغال في التفاؤل :

شباب الإسلام؛ ومن مواقف الفتن والنوازل الحذر من الإيغال في التفاؤل والجزم بالوعود والنتائج وتأكيد ذلك للناس تأكيداً قطعياً لا شك فيه ولا ريب منه، ومثال ذلك في فتنة الحرب على العراق قول بعضهم بأن هذه الحرب هي نهاية تلك الدولتين الكافرتين المتحالفتين على العراق، وأنهما لن تقوم لهما قائمة بعد الحرب، وستنتهي هيمنتهما وبطشهما.

شباب الإسلام؛ كل غيور يتمنى النصر للإسلام، والخسران لأعداء الإسلام، لكن التفاؤل الزائد والجزم القاطع بالنتائج فيه رجم بالغيب، وقد يكون فيه نوع من التألي على الله، وفيه أيضاً إدخال للتقاعس واليأس في نفوس أولئك الناس الذين بنوا على كلامكم آمالاً وأخذوا كلامكم بالتصديق الجازم، واعلموا شباب الإسلام أن هذا المنهج دليل على ضعف في العلم وضعف في البصيرة، ألا فليتق الله ذلك المتسرع في قوله وجزمه، وليعلم أن هذا المنهج فيه خلل عقدي، إذ كيف يؤمل الناسَ ويرجم بالغيب ويقطع بنهاية ذلك العدو الكافر بمجرد عاطفة واندفاع لم يزم بزمام النص الشرعي، وكان الأولى به وبأمثاله أن يذكر الناس بالأخذ بجانب التوكل والثقة بالله وملازمة الدعاء والضراعة سواء هزم العدو أم فاز، كما عليه أن يذكّر الناس بترك المعاصي وفعل الأسباب التي تنهض بهم وبأمتهم في مواجهة عدوهم، وأن يحذر هو بنفسه ويحذرهم من استعجال النتائج فذلك ليس له ولا لأحد من الناس {وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإنما عليك البلاغ}.

المعلم (٢٧) : مراعاة حال المسلمين في أثناء الضعف والقوة :

شباب الإسلام؛ ومن المعالم في الفتن مراعاة حال المسلمين في حال الضعف والقوة، وهذه المسألة من القواعد المقررة شرعاً، فمراعاة شأن الزمان والمكان والحال مما تتغير بحسبه الأحكام التكليفية بحسب تحقق المصالح ودرء المفاسد، فحال القوة غير حال الضعف، وحال الأمن غير حال الخوف، ولذا كانت الصلاة في حال الحرب تختلف عنها في الأمن، والمضطر ينطق بكلمة الكفر بلسانه دون قلبه (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) ، والطلاق لا يقع من المكره المضطر كما يقع من غير المضطر.

شباب الإسلام؛ إن معرفة القواعد الشرعية هي أساس إقامة شرع الله فتلك القواعد الكلية هي التي ترجع إليها وتبنى عليها الأحكام الشرعية الأصلية والفرعية، ولذا أكثر العلماء من الكلام عنها وتنزيل الأحكام على ضوئها.

شباب الإسلام: وعوداً على بدء؛ إن معرفة حال المسلمين من ضعف أو قوة أو أمن أو خوف، والنظر في القواعد الشرعية وتنزيلها بحسب ما قرره أهل العلم من الأهمية بمكان، فمن لم يعرف هذا الأمر عموماً وهذه القاعدة المرتبطة بحال المسلمين خصوصاً، وأخذ النصوص على ظاهرها دون النظر في مناط الأحكام وتحقيقها ودون النظر في مقاصد الشريعة وأهدافها فهو ممن يسوي بين المختلفات، ويفرق بين المتماثلات، وهذا من أجهل الجهل، وكم جر الجهل بتلك القاعدة من الفساد والإفساد على المسلمين أفراداً وجماعات.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى:(وقد ركز الله في فطر الناس وعقولهم التسوية بين المتماثلين وإنكار التفريق بين المختلفين، وإنكار الجمع بينهما) إعلام الموقعين ١٣١/١ .

وقال رحمه الله تعالى مبيناً مراعاة أحوال الناس وأزمنتهم وعدم إطلاق الأحكام بمجرد حفظها أو نقلها، قال رحمه الله تعالى: (ومن أفتى الناس بمجرد المنقول في الكتب على اختلاف عرفهم وعوائدهم

وأزمنتهم وأحوالهم وقرائن أحوالهم فقد ضل وأضل، وكانت جنايته على الدين أعظم من جناية من طبب الناس كلهم على اختلاف بلادهم وعوائدهم وأزمنتهم وطبائعهم بما في كتاب من كتب الطب على أبدانهم، بل هذا الطبيب الجاهل وهذا المفتي الجاهل أضر ما على أديان الناس وأبدانهم والله المستعان) انتهى كلامه رحمه الله تعالى ، إعلام الموقعين ٧٨/٣ .

وهو يدل على عمق في فهم مقاصد الشريعة وأصولها وفروعها، فرحمه الله تعالى وأجزل مثوبته. وما أحسن ما قاله الإمام الذهبي في هذا الباب؛ قال رحمه الله: (ليس العلم بكثرة الرواية، ولكنه نور يقذفه الله في القلب).

ومن أنسب الأمثلة لمراعاة حال ضعف الأمة وقوتها : ما يتعلق بأمر الجهاد ، وهل يشرع القيام به في كل وقت دون النظر في حال المسلمين ؟

هذه المسألة كثر كلام أهل العلم فيها من حيث القواعد الشرعية كقاعدة (الحكم على الشيء فرع عن تصوره) ، وكذلك مراعاة حال الناس والنظر في أحوالهم وقرائن أحوالهم .

وأما كلامهم فيما يتعلق بذات الجهاد ، فإليك بعض النقول عن بعض الأئمة المتقدمين والمتأخرين :

* قال الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى : (وكان مأموراً بالكف عن قتالهم لعجزه وعجز المسلمين عن ذلك ، ثم لما هاجر إلى المدينة وصار له بها أعوان أَذِن له في الجهاد ، ثم لّما قووا كتب عليهم القتال و لم يكتب عليهم قتال من سالمهم ؛ لأنهم لم يكونوا يطيقون قتال جميع الكفار ، فلما فتح الله مكة وانقطع قتال قريش ملوك العرب ، ووفدت إليه وفود العرب بالإسلام أمره الله تعالى بقتال الكفار كلهم إلا من كان له عهد مؤقت ، وأمره بنبذ العهود المطلقة ، فكان الذي رفعه ونسخه ترك القتال)

* وقال أيضاً : (فكان ذلك عاقبة الصبر والتقوى اللذين أمر الله بهما في أول الأمر ، وكان إذ ذاك لا يؤخذ من أحد من اليهود الذين بالمدينة ولا غيرهم جزية ، وصارت تلك الآيات في حق كل مؤمن مستضعف لا يمكنه نصر الله ورسوله بيده ولا بلسانه ، فينتصر بما يقدر عليه من القلب ونحوه ، وصارت آية الصغار على المجاهدين في حق كل مؤمن قوي يقدر على نصر الله ورسوله بيده أو لسانه ، وبهذه الآية ونحوها كان المسلمون يعملون آخر عُمُر رسول الله r وعلى عهد خلفائه الراشدين ، وكذلك هو إلى قيام الساعة ، لا تزال طائفة من هذه الأمة قائمين على الحق ، ينصرون الله ورسوله النصر التام ، فمن كان من المؤمنين بأرض هو فيها مستضعف أو في وقت هو فيه مستضعف فليعمل بآية الصبر والصفح عمن يؤذي الله ورسوله من الذين أوتوا الكتاب والمشركين ، وأما أهل القوة فإنما يعملون بآية قتال أئمة الكفر الذين يطعنون في الدين ، وبآية قتال الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) .

* وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى : (هذه الآيات تتضمن الأمر بالقتال في سبيل الله ، وهذا كان بعد الهجرة إلى المدينة ، لما قوي المسلمون للقتال أمرهم الله به ، بعدما كانوا مأمورين بكف أيديهم) .

* وقال رحمه الله تعالى : (ومنها : أنه لو فرض عليهم القتال – مع قلة عددهم وعُدّتهم وكثرة أعدائهم – لأدى ذلك إلى اضمحلال الإسلام ، فروعي جانب المصلحة العظمى على ما دونها ، ولغير ذلك من الحكم .

وكان بعض المؤمنين يودون أن لو فرض عليهم القتال في تلك الحال غير اللائق فيها ذلك ، وإنما اللائق فيها القيام بما أُمروا به في ذلك الوقت من التوحيد والصلاة والزكاة ونحو ذلك ، كما قال تعالى : { ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تبيتا } ، فلما هاجروا إلى المدينة وقوي الإسلام ، كتب عليهم القتال في وقته المناسب لذلك) .

* وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى : (لا بد فيه من شرط ، وهو : أن يكون عند المسلمين قدرة وقوة يستطيعون بها القتال ، فإن لم يكن لديهم قدرة فإن إقحام أنفسهم في القتال إلقاء بأنفسهم إلى التهلكة ، ولهذا لم يوجب الله سبحانه وتعالى على المسلمين القتال وهم في مكة ؛ لأنهم عاجزون ضعفاء ، فلما هاجروا إلى المدينة ، وكوّنوا الدولة الإسلامية ، وصار لهم شوكة أُمروا بالقتال ، وعلى هذا فلا بد من هذا الشرط ، وإلا سقط عنهم كسائر الواجبات ؛ لأن جميع الواجبات يشترط فيها القدرة ، لقوله تعالى : { فاتقوا الله ما استطعتم } ، وقوله تعالى : { لا يكلف الله نفساً إلا وسعها })

* وطرح الشيخ سؤالا وأجاب عليه ، وإليكم السؤال مع جوابه : { هل يجب القتال أو يجوز مع عدم الاستعداد له ؟

فالجواب : لا يجب ولا يجوز ونحن غير مستعدين له ، والله لم يفرض على نبيه وهو في مكة أن يقاتل المشركين ، وأن الله أذن لنبيه في صلح الحديبية أن يعاهد المشركين ذلك العهد الذي إذا تلاه الإنسان ظن أن فيه خذلاناً للمسلمين .

كثير منكم يعرف كيف كان صلح الحديبية حتى قال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : ((بلى)) ، قال : فلِمَ نعطي الدنية في ديننا ؟ ، فظن أن هذا خذلان ، ولكن الرسول r ما في شك أنه أفقه من عمر ، وأن الله تعالى أذن له في ذلك وقال : ((إني رسول الله ولست عاصيه وهو ناصري ...)) ، وإن كان ظاهر الصلح خذلاناً للمسلمين ، وهذا يدلنا يا إخواني على مسألة مهمة وهي قوة ثقة المؤمن بربه ، المهم أنه يجب على المسلمين الجهاد حتى تكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله ، لكن الآن ليس بأيدي المسلمين ما يستطيعون به جهاد

الكفار حتى ولو جهاد مدافعة وجهاد المهاجمة ما في شك الآن غير ممكن حتى يأتي الله بأمة واعية تستعد إيمانياً ونفسياً ثم عسكرياً ، أما نحن على هذا الوضع فلا يمكن أن نجاهد) .

وبعد هذا البيان الشافي الكافي من أهل العلم الراسخين فماذا يقال فيمن جهل تلك القواعد الشرعية وجهل تطبيق النوازل عليها بل أخذ النصوص بظاهرها دون مراعاة لمقاصد الشريعة ، ألا يكون هذا وأمثاله من القائلين على الله بلا علم هذا من حيث الضرر القاصر عليه ، أما من حيث الضرر المتعدي فإنه يتحمل تبعات من أضلّه بغير علم ناهيكم عما يحصل من الفساد والإفساد في الأنفس والممتلكات ، وما يجرّ ذلك من البلاء على أفراد المسلمين ومجتمعاهم .

المعلم (٢٨) : ليس كل من تحمس لقول يكون موافقا للحق :

شباب الإسلام : ومن المعالم في الفتن أن تعلموا شباب الإسلام أن الوصول إلى الحق إنما يكون بعد توفيق الله تعالى بالصدق والإخلاص في طلبه، وبالرجوع إلى الراسخين في العلم مع البحث عنه من خلال الأدلة وكلام أهل العلم عليها.

وإذا كان ذلك كذلك: فاعلموا شباب الإسلام أن الحق ليس مرهوناً بالتحمس لقول والانتصار له دون فهم وتأمّل؛ فليس كل من تحمس لأمر وأجلب عليه بخيله ورجله أن يكون على حق في دعواه، وبخاصة إذا لم يكن معروفاً بالعلم ومجالسة أهله.

المعلم (٢٩) : الفرق بين حفظ النصوص وفهمها :

شباب الإسلام: إن مجرد حفظ النصوص وسردها دون الفقه في مدلولاتها وأحوالها من الفساد والجناية على الشريعة بمكان، وهل ما فعله الخوارج من تلويث التاريخ باسم الإسلام إلا من جراء التمسك بظواهر نصوص والتحمس لها دون فهم وبصيرة، وهل ما حصل من الخروج على الأئمة وشق عصا الطاعة وهيجان السيوف إلا من جراء ذلك فالحذر الحذر شباب الإسلام، فحفظ النصوص وسردها شيء، وفهم مدلولاتها شيء آخر، وهذا محط الركب وبيت القصيد والشاهد من القول، فرب حامل فقه ليس بفقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى:(صحة الفهم وحسن القصد من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عبده، بل ما أعطي عبد عطاء بعد الإسلام أفضل ولا أجل منهما، بل هما ساقا الإسلام وقيامه عليهما، وبهما يأمن العبد طريق المغضوب عليهم الذين فسدت فهومهم، ويصير من المنعم عليهم الذين حسنت أفهامهم وقصودهم وهم أهل الصراط المستقيم الذين أمرنا أن نسأل الله أن يهدينا صراطهم في كل صلاة) ثم قال رحمه الله تعالى:(وصحة الفهم نور يقذفه الله في قلب العبد، ويميز به بين الصحيح والفاسد والحق والباطل والهدى والضلال والغي والرشاد، ويمده حسن القصد وتحري الحق وتقوى

الرب في السر والعلانية، ويقطع مادته اتباع الهوى وإيثار الدنيا، وطلب محمدة الخلق وترك التقوى) انتهى كلامه رحمه الله تعالى إعلام الموقعين

المعلم (٣٠) : عدم الجزم بتنزيل النصوص الشرعية على النازلة :

شباب الإسلام؛ ومن المعالم في القتن الحذر من تنزيل النصوص الشرعية المتعلقة بالفتن والملاحم على ما يقع من النوازل والجزم بذلك دون تردد أو شك، فذلك من الرجم من الغيب ولازمه القول على الله بلا علم، ومثال ذلك أن يأتي خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم بأنه سيكون كذا وكذا من الأمور والعلامات فيندفع بعض الناس بتنزيل ذلك النص النبوي على تلك الواقعة ، ومن خير الشواهد في هذا المقام ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن جندب رضي الله تعالى عنه قال: (جئت يوم الجَرَعَة(١) فإذا رجل جالس فقلت ليُهراقَنَّ اليوم هاهنا دماء ، فقال ذلك الرجل : كلا والله ، فقلت : بلى والله ، قال : كلا

والله ، قلت : بلى والله . قال : كلا والله إنه لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنيه . قلت : بئس الجليس لي أنت منذ اليوم تسمعني أخالفك وقد سمعتَه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تنهاني ثم قلت ما هذا الغضب فأقبلت عليه اسأله فإذا الرجل حذيفة) أخرجه مسلم في كتاب (الفتن) حديث رقم ٢٨٩٣ ، انظر شرح النووي ١٨ ص٢٣٥ .

فانظروا شباب الإسلام كيف خَطَّأ حذيفة جندبا رضي الله تعالى عنهما لما جزم جندب بوقوع الأمر ، وانظروا كيف سارع جندب رضي الله تعالى عنه إلى الرجوع عن قوله عندما تبين له أنه على غير علم فيما جزم به .

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى:(والذي ينبغي أن يقال به في هذا الباب أنما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من الفتن والكوائن أن ذلك يكون، وتعيين الزمان في ذلك من سنة كذا يحتاج إلى طريق صحيح يقطع العذر) انتهى المراد من كلامه ، التذكرة ص٧٣٦

المعلم (٣١) : عدم الانشغال عن القضايا الأخرى بدعوى الاشتغال بالنازلة الآنية :

شباب الإسلام؛ وإن من المعالم في الفتن أن تخص النازلة الآنية بالعناية بها وبالاهتمام بشأنها وهذا لا جدال فيه، إنما المحذور هنا أن يشتغل الجميع بقضية الساعة وينصرفوا عن غيرها إليها مما يترتب عليه إهمال قضايا كثيرة أخرى، وهذا من قلة الفقه وضعف البصيرة الناتج عن تحكيم العواطف بغير زمام شرعي، بل إن ذلك معاشر شباب الإسلام يهيئ لأهل الشر في الداخل والخارج أن يستغلوا تلك الأوضاع الراهنة التي أشغلتكم عنهم أن يستغلوها في مضاعفة بث شهواتهم وشبهاتهم مما يمكنها في

(١) الجَرَعَة : موضع بقرب الكوفة على طريق الحيرة .

ويوم الجرعة : هو اليوم الذي خرج فيه أهل الكوفة يتلقون واليا ولّاه عثمان رضي الله تعالى عنه عليهم فردوه وسألوا ولاية أبي موسى رضي الله تعالى عنه ، فولاه عثمان عليهم . شرح النووي على مسلم ٢٣٢/١٨ .

نفوس كثير من الناس الذين فقدوا نصحكم وتوجيهكم بسبب انشغال جميعكم عنهم. فالحذر الحذر شباب الإسلام إياكم أن تؤخذوا على غرة، إياكم أن تخدعوا أو تصرفوا عن كيد أولئك فيخلو لهم الجو في بث عفنهم وخبثهم.

المعلم (٣٢) الحرص على العبادة في أوقات الفتن

شباب الإسلام : إن من البصيرة والفقه في الدين أن يكون المرء حذراً فطناً وبالأخص في أوقات النوازل والفتن العظيمة التي تنصرف أذهان أكثر الناس أو كلهم إليها، وتذكروا شباب الإسلام قوله صلى الله عليه وسلم: (العبادة في الهرج كهجرة إلي) فقد ذكر بعض شراح الحديث أنه إنما خص وقت الفتن بزيادة الأجر على العبادة لغفلة الناس وذهولهم عن ذلك بسبب اشتغالهم بالفتنة. ا.هـ

شباب الإسلام : وإذا كان ذلك كذلك فإن من أعظم أنواع العبادة في أوقات الفتن والنوازل بث الخير بين الناس من أمر بمعروف ونهي عن منكر وتبصير الناس في ما يحتاجون إليه، وعدم إهمال ذلك بدعوى الاشتغال بالنازلة.

المعلم (٣٣) : الحذر من الكتبة المغرضين :

شباب الإسلام : ومن المعالم في الفتن الحذر من بعض الكتبة المغرضين، إياكم أن تستفزكم تلك الأقلام التي تولى زمامها طائفة من الناس جندوا أنفسهم لهدم مجتمعاتهم وبث بذور الشر والفتنة بما يكتبون، تلكم الطائفة شرذمة من الكتاب الذين بلي بهم عالمنا الإسلامي،

خانوا أممهم ومجتمعاتهم وخانوا رسالة القلم وأمانته، فسخروا أقلامهم في نفث سمومهم، فجعلوا التمسك بعرى الدين وأخلاقه علامة على الإرهاب وإفساد المجتمعات والممتلكات واستغلوا كل حدث لتأكيد باطلهم وفجورهم بل من عظيم مكرهم أن يصدرون مقالاتهم ببعض الأدلة الشرعية يتمسحون بظواهرها في ترويج شبههم فيقومون بليّ أعناق النصوص وتحريف كَلِمها ليوافق – في زعمهم – مرادهم واستنتاجهم، ويجعلون لتلك المقالات عناوين براقة تخدع الناظر لها من أول وهلة، إياكم شباب الإسلام أن يستفزكم أولئك الكتبة فيشغلونكم عن دعوة الناس إلى الخير بقصد الدخول معهم في مهاترات كتابية فيشتهروا بين الناس بردكم عليهم وقد يكونون نكرة قبل ذلك.

شباب الإسلام: إن دعت المصلحة الشرعية للرد عليهم فردوا بعلم وبصيرة، وإياكم والردود الطائشة الخالية من النظر الشرعي فإن تلك الردود إذا صدرت من بعضكم استغلها أولئك الكتبة المغرضون وشمتوا بها سمعتكم وأدبكم ومنهجكم. شاهد المقال أن الرد على أولئك من الديانة لله ومن الغيرة على محارمه، وعلى هذا فليكن الرد بعلم أو الصمت بحلم، وأما مجرد تنفيس الغيظ بلا بصيرة فقد يزيد النار استطارة والغبار عجاجاً.

المعلم (٣٤) : الحذر من الارجاف بين الناس :

شباب الإسلام؛ احذروا مما وقع فيه بعض الناس من الإرجاف بين الناس وإلقاء الرعب وإدخال اليأس والقنوط عليهم، وأن هذا العدو سيعود إليهم حالما ينتهي من غيرهم وأنه لا مفر من ذلك ولا مناص منه، إياكم شباب الإسلام وهذا الأسلوب في الوعظ والتحذير، فإن ذلك يزيد الناس ضعفاً إلى ضعفهم ووهناً مع وهنهم، الحذر من هذا كله، وتذكروا قول نبيكم صلى الله عليه وسلم:(من قال هلك الناس فهو أهلكُهم) وفي لفظ آخر: (فهو أهلكَهم) فعلى المعنى الأول: هو أشدهم هلاكاً لأنه زكى نفسه وتألى في قوله، وعلى المعنى الآخر: أنه هو الذي تسبب في إهلاكهم لأنه أدخل الذعر في قلوبهم وغلّب جانب التشاؤم في نفوسهم ، ولا يمنع هذا من تحذير الناس ، إنما المحذور المبالغة في ذلك حتى يصل به الحال إلى تقنيط نفسه والسامعين .

المعلم (٣٥) : أوقات النوازل من أحسن الأوقات لتذكير الناس :

شباب الإسلام : ذكروا الناس بعلم وعظوهم ببصيرة، ذكروهم بالتوبة من الذنب وحثوهم على المبادرة في الخير، خوفوهم من التمادي في المعاصي ، حببوا الله تعالى إلى عباده، وأدخلوا روح التفاؤل عليهم، حذروهم من عدوهم وكيده وخبثه، وسترون شباب الإسلام ما يسركم ويشرح صدوركم، إياكم شباب الإسلام والغلظة على أصحاب المعاصي من إخوانكم وجيرانكم ومن بلغكم خبره ممن لا تعرفون ، عليكم بالترفق في مناصحة أولئك ، فهم قد تلوثوا بمرض الخطيئة ، فكونوا أطباء لهم بدواء التوبة والإرشاد إلى الخير والتذكير بشؤم المعصية ، كل ذلك برفق ومحبة للخير لهم ، وسترون منهم انقياداً وقبولاً ، فالمسلم إذا ذُكِّر بالله تعالى تذكّر ، وبخاصة إذا كانت النصيحة من قلب صادق بالنصح ، ومن أوضح الأدلة على تأثر العاصي بصادق النصح ما ثبت في الحديث من خبر ذلك الرجل الذي أراد فعل الفاحشة بامرأة فلما تمكّن منها وهمّ بها قالت له : اتّق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقّه ، فلما سمع الرجل ذلك قام عنها تائباً مختارا راغباً لا راغما .

فكونوا شباب الإسلام عوناً لأولئك العصاة على الشيطان وأنفسهم ، فأنتم دلائل الخير تعلمون الناس الخير وتدلوهم عليه ، اسلكوا معهم ما تقتضيه النصوص الشرعية من بيان النصح وإظهار حب الخير لهم، فكم قد رأى الناس وسمعوا عن أناس أوغلوا في المعاصي والمنكرات، فقيض الله لهم ناصحاً صادقاً على بصيرة من الأمر، فحول الله به حال أولئك العصاة إلى أحسن حال، وجعلهم قدوة يقتدى بهم في الخير بعد أن كانوا عبرة يعتبر منهم في الشر.

شباب الإسلام: إن أوقات النوازل من أنسب الأوقات لتذكير الناس، فقلوبهم وجلة وظنونهم قلقة، فالله الله في حسن دعوتهم، والله الله في مضاعفة بث الخير في صفوفهم (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين) أي لا أحد أحسن ممن دعا إلى الله.

المعلم (٣٦) : دعوة غير المسلمين للإسلام :

وليس هذا المعلم خاصا بوقت النوازل ، وإنما في كل وقت .

شباب الإسلام : ومن المعالم أن يحرص المسلم على دعوة غير المسلمين إلى الإسلام .

فبما أن كثيراً من بلاد الإسلام قد وُجِد فيها هؤلاء ، فلماذا لا يُستغل وجود هؤلاء بدعوهم إلى الإسلام ؟!

فلما لا نحاول من باب أدنى الكمال أن نُزيل من أذهانهم ما شاع عندهم بأن الإسلام دين إرهاب بسبب ما رسّخته وسائل إعلامهم ، وكذا ما وقع من بعض الحوادث التي حُسبت على الإسلام والإسلام بريء من إقرارها ، ناهيكم عن الأمر بها ؟!

شباب الإسلام : لماذا لا يستحضر بعض الناس قوله r : ((لإن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمر النَعم)) .

وإن مما يُسهّل دعوتهم ما يسّر الله تعالى وهيّئ من الوسائل الدعوية المترجمة بلغتهم من المقروء والمسموع والمرئي ، فذلك لا يُكلّف أحدنا جهداً يُذكر .

فلنحرص على إيصال تلك الوسائل إليهم ، فربما أن جهداً يسيرا يُغيّر شراً كبيرا ، وحسبكم من تغيير معتقد شخص من كفر إلى إيمان .

شباب الإسلام : إن مما شاع عن بعض الناس أنه لا يذكر غير المسلمين إلا باستصحاب تمنّي البطش بهم والاعتداء عليهم .

فلماذا لا نُعمِل جميع النصوص في شأنهم ، لماذا ينسى بعض الناس أو يتناسى أن النبي r زار غلاما يهوديا مريضا .

فانظروا كيف اقتطع النبي r جزء من وقته الذي يُعتبر أغلى وقت يمتلكه بشر ومع هذا كله قام r مع شريف مرتبته ورفيع منزلته وعظيم مكانته بزيارة ذلك الغلام اليهودي المريض الذي ليس له حظ من مال أو جاه .

وكانت تلك الزيارة النبوية فاتحة خير لذلك الغلام اليهودي الذي أسلم أمام النبي r بعدما دعاه النبي r إلى الإسلام .

شباب الإسلام : ألم تذكر كتب التاريخ ، أن بعض الأقطار دخلها الإسلام بسبب أخلاق التجار المسلمين الذين وفدوا إليها .

رأى أهل تلك الديار الكافرة في أولئك التجار المسلمين صدقاً في القول ووفاء بالوعد وبيان لجيد السلع من رديئها ورداً لما كان معيباً منها .

لما رأى أولئك القوم تلك الخصال التي تشهد بحسنها عقولهم سألوا عن ذلك فأخبرهم أولئك التجار أن دينهم الإسلامي يأمرهم بهذا ويرتب لهم عليه أجرا وينهاهم عن ضدّه ويرتب لهم عليه وزرا .

فما كان من كثير من أولئك الكفار إلاّ أن دخلوا في دين الإسلام .
فقل لي بربك : كم يجري من الأجور والثواب على أولئك التجار إلى هذه الساعة ، بل إلى قيام الساعة ؟!

شباب الإسلام : إن دعوة أولئك ودخولهم في الإسلام فيها خير عظيم للداعي والمدعو فإن لم يستجب أولئك المدعوون فلا أقل من إزالة ما علق في أذهانهم عن الإسلام ويقينهم أن بعض حكوماتهم ظلمت أو أعانت على ظلم المسلمين .
ألم يُدافع بعض أرباب الكنائس عن دين الإسلام وردّوا جهاراً ونهاراً على من زعم أن الإسلام دين إرهاب ؟ وبيّنوا أن الإسلام لا يرضى الإرهاب وسفك الدماء ، بل إن عددا غير قليل من المسئولين صرّحوا بأن حكوماتهم ظلمت واعتدت على مصالح المسلمين ، بدءاً بفلسطين .

المعلم (٣٧) : الحذر من تصديق الإشاعات :

شباب الإسلام؛ ومن المعالم في الفتن التي ينبغي أن تتفطنوا لها وتحذروا منها، المسارعة في تصديق الإشاعات وتلقفها بمجرد سماعها لأول مرة، ومن ثّم السعي في نشرها وبثها بين الناس، وإصدار الأحكام بناء على تلك الإشاعة وتعويلاً على لوازمها فترجفون في أوساط الناس بنشر تلك الشائعات، ولا يسمع غالب من يسمعها منكم إلا أن يصدقكم لحسن ظنه فيكم ومن ثم يبدأ سامعوا الإشاعة منكم في نقلها عنكم مع أن تلك الإشاعة لا زمام لها ولا خطام ثم لو تنزل بمصداقيتها و لم تظهر تلك التوقعات الجازمة والأحكام القاطعة، فماذا عسى أن يقول الناس عنكم بعد سقوط أحكامكم وتصوراتكم الجارفة لما بني على تلك الإشاعة.

شباب الإسلام: أين أنتم من المنهج العلمي في شأن الإشاعة. يا شباب الإسلام: اجعلوا نصب أعينكم قول ربكم تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) ففي الآية بيان واضح أن عدم التبين والتثبت في صحة الخبر وعدم التأكد من نقله والتسرع في بناء الأحكام عليه فيه إصابة قوم بجهالة كاتهام أبرياء أو تبرئة متهمين، فالحذر الحذر شباب الإسلام من ذلك كله، واجعلوا نصب أعينكم أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم (بئس مطية الرجل زعموا) ، وقوله صلى الله عليه وسلم:(كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع) أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفي رواية عند أحمد وأبي داود : (كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع) ، ثم اعلموا شباب الإسلام أن المخرج من ذلك كله أن ترد تلك الأخبار إلى أهل العلم والدراية، كما قال تعالى: (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) .
شباب الإسلام؛ وإن أعظم الإشاعات تأثيراً وإرجافاً ما تبثه بعض القنوات فيسمع بعض الناس خبراً من كافر عدو للإسلام يجزم فيه ذلك الكافر أنه سيكون كذا وكذا فيقوم ذلك المتسرع إلى ذلك الخبر

فيطيِّره كل مطير، ويبني عليه في مجالسه وكتاباته ويجعل خبر ذلك الكافر كأنه دليل شرعي فيرجف به في أوساط الناس ويدخل الرعب عليهم وهذا يدل على قلة فقه وضعف بصيرة، هذا في حالة كون الخبر صدقاً والتوقع واقعاً، بل حتى لو كان المتكلم مسلما ، فكيف إذا كان المتكلم كافرا ، وكان خبره تهويلاً وتضخيماً، ألم يعلم ذلك المتسرع أن الحرب خدعة، ألم يعلم أن الكفار أكذب الناس.

المعلم (٣٨) : الحذر من أولئك المتصدرين المتعجلين في إصدار الأحكام والآراء :

شباب الإسلام: أنتم قدوة للمجتمع، والمجتمع يؤمل عليكم فكونوا عند حسن ظن الناس بكم، دعوا عنكم المرجفين والمتهورين، فكم تخرّص متسرعون، وكم سعى مرجفون فقالوا وجزموا واتهموا مخالفهم وطعنوا في دينه وقصده، ثم لما تكشّفت الأمور وزال الغبار بطل قولهم وظهر عوارهم .

ثم شباب الإسلام : لما ظهر بطلان قول أولئك المرجفين لم يمنعهم حياؤهم من الصمت فحسب وليس الاعتراف بالخطأ بل تأخذ بعضهم العزة بالإثم فيزداد عناداً واستكباراً، وهذا عياذاً بالله تعالى ممن قيده هواه وشيطانه فأصبح أسيراً يقاد ولا يقود ويساق ولا يسوق، يتهم أهل البلد تارة وتارة يتهم علماءها وتارة يتهم بعض شبابها، ومع هذا كله لم يقف أولئك عند هذا الحد بل زاد الطين بلة والماء تعكيراً فكانوا أسرع الناس عند حصول النوازل؛ أسرع الناس في بث الإشاعات وتهويل الناس والإرجاف في أوساطهم، فلم يتعظ هؤلاء بخطئهم، بل يرون في أنفسهم أنهم أحق الناس بالكلام في نتائج النوازل وأن الأصل كلامهم وتقريرهم واستنتاجهم فيا عجبى من أولئك القوم تناقض في القول وإصرار على الخطأ وعدم حياء من الناس ولكن بحمد الله تعالى فإن شباب الإسلام الذين بنوا التزامهم على منهج علمي موافق لهدي سلف الأمة هم أبعد الناس عن مثل هذه التناقضات ، فكونوا شباب الإسلام حذرين من تلك التصرفات المشينة ، وقولوا لأولئك المرجفين والمخذلين وأمثالهم :

وإن عادت العقرب عدنا لها وكانت النعل لها حاضرة

المعلم (٣٩) : لا يلزم ممن عُرف بمتابعته المستمرة لأحوال المسلمين أن يتولى إصدار الأحكام الشرعية :

شباب الإسلام: ومن المعالم في الفتن وهو يلتحق بما قبله، أن بعض الناس قد يؤتى قدرة في الاستقراء والتتبع والسبر والتقسيم لحال واقع المسلمين وما يكاد لهم من أعدائهم وعنده ملكة في التعبير بلسانه أو بنانه عن تحليل تلك الأخبار وبيانها مفصلة مرتبة. ولا شك ولا ريب أن هذا نوع من الموهبة والفطنة، ولو أن ذلك المستقرئ والمتتبع وقف عند هذا الحد لقضي الأمر، لكن المصيبة ها هنا أن ذلك الكاتب المحلل لواقع المسلمين وكيد عدوهم ينصب نفسه عالماً مفتياً فيقوم بإصدار الحلول الشرعية في زعمه مع أنه ليس له حظ من العلم الشرعي بل لم يعرف بمجالسة أهله فضلاً عن جهله بمقاصد الشريعة، وإذا كان ذلك كذلك فكيف يخول لنفسه مقام القضاء والفتيا، فيا أسفى على شباب ذي همة عالية يجعلون

مثل أولئك قدوة لهم في أحكامهم ويزداد الأسى والأسف والحسرة إذا عدوا أولئك من العلماء، وتبلغ المصيبة أوجها إذا همش العلماء الراسخون لأجل أولئك الكتبة.

شباب الإسلام: وإن مما يذكر فيشكر لبعض أصحاب الأقلام المستقرئة لأحوال الإسلام أنهم بعد رصد أحوال المسلمين، وبعد رصد مكائد أعدائهم، يقوم أولئك الكتبة بعرض ما كتبوا على علماء الشريعة الموثوقين، ويتلقون فتاواهم وتوجيهاتهم، ومن ثَمَّ يجعلون تلك الفتاوى والتوجيهات حلولاً لما كتبوا، فبارك الله في أقلامهم، وأكثر في كتّاب المسلمين من أمثالهم.

شباب الإسلام؛ لو سلك بقية الكتّاب مسلك هؤلاء الكتبة لزال كثير من أسباب الخلاف والشقاق وصدق من قال، وما أحسن ما قال: (لو سكت من لا يعرف قل الاختلاف) ، وأصدق منه وأحسن قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من كان يؤمن بالله واليوم والآخر فليقل خيراً أو ليصمت) .

المعلم (٤٠) : الدعاء من أسباب كشف البلاء :

شباب الإسلام؛ ومن المعالم في الفتن الحرص على وصاية نفسه والناس بالتضرع والدعاء، فالدعاء والضراعة إلى الله تعالى من أسباب كشف الغمة وتفريج الكربة { ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون * فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون} {وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون} {ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون}.

شباب الإسلام؛ في مواطن الفتن تشغل نفوس كثير من الناس بتتبع الأخبار والتعاطف مع إخوانهم ومتابعة أحوالهم، وهذا دليل على توثق عرى الأخوة الإسلامية لكن هم بحاجة إلى مضاعفة العون المادي والمعنوي لهم، ومما لا يعجز عنه أحد سلاح الدعاء والضراعة إلى الله بنصرهم وكبت عدوهم، فالله الله شباب الإسلام في المضاعفة من الدعاء بنوعيه دعاء المسألة ودعاء العبادة، فبعض الداعين يدعو بلسانه ولا يستشعر عظمة الدعاء وأثره بقلبه، وبعض الداعين يدعو بفتور وضعف لتعلقه بالأسباب المادية، وبعض الداعين يدعو وقد أيس نفسه لقوة العدو وكثرة عتاده.

شباب الإسلام : إن مثل هذه الأحوال تدل على ضعف البصيرة وقلة العلم، فيا شباب الإسلام عظموا شأن الدعاء في نفوسكم ونفوس المسلمين، فكم من دعوة مظلومين مقهورين ضعفاء قد فرقت مجتمعين أقوياء، وكم من دعوة صادقة كشفت غماً وفرجت هماً.

قيل للإمام أحمد رحمه الله تعالى: يا إمام كم بيننا وبين عرش الرحمن؟ فقال رحمه الله تعالى:(دعوة صادقة من قلب عبد صادق) وصدق فيما قال رحمه الله تعالى فإذا صدق قلب العبد في مناجاته لربه فتح أبواب السماء لدعوته.

المعلم (٤١) : إعادة النظر في أقوال وتوقعات صدرت بعجلة وتسرع :

شباب الإسلام : ومن المعالم في الفتن؛ أن ينظر المسلم بعين البصيرة والاعتبار والعظة إلى أقوال وأحكام في نوازل سابقة فإنها تكون مناراً للتبصر والنظر في الفتن المعاصرة واللاحقة، فكم قيل وكم كتب وكم حكم في فتن سابقة ثم لما تكشفت الأمور تبخرت تلك الأقوال والأحكام والكتابات المجردة من العلم الشرعي وأصبحت كسراب بقيعة أو زبد على الماء وبقيت ألأقوال الموثقة بالأدلة الشرعية راسية كالجبال {فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض}

المعلم (٤٢) : الاعتبار والنظر في النوازل السابقة :

شباب الإسلام؛ ومن المعالم في الفتن والنوازل أن يعتبر المسلمون وبخاصة شباب الإسلام ودعاة الإصلاح، أن يعتبروا من الدروس والعبر المتعلقة بما سبق من النوازل عموماً، وأن ينظروا إلى ذلك نظرة ترو وإمعان حسب العلم الشرعي وسؤال أهله.

ذلكم شباب الإسلام لأن النظر فيما سبق من النوازل ودراية أسبابها ونتائجها يعود عليكم بفوائد كثيرة منها: معرفة مكامن النقص والتقصير، سواء كانت عامة أو خاصة، وذلك لاجتنابها ومعرفة مواقع الصواب للزومها، وبكل حال فالنظر فيما سبق من النوازل يكون بعد عون الله تعالى منظاراً لما يحدث من لواحق النوازل والحوادث.

شباب الإسلام: ولعظيم الاعتبار والنظر فيما سلف من النوازل أمر الله تعالى عباده بذلك، بل تكاثرت النصوص في هذا الشأن، فتارة فيها الحث على ذلك للحذر مما وقعوا فيه، وتارة لبيان الآثار الوخيمة في الغفلة عن الأحداث الماضية وعدم الاعتبار بما كان فيها، فمن باب الحث على السير والنظر في الحوادث السالفة والاعتبار بما كان فيها، قوله تعالى:{قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين} {قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين} {فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين}. ومن باب أن الغفلة عن الأحداث قد تورّث الوقوع في ما وقعوا فيه أو بعض ما وقعوا فيه {أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون} { أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثاراً في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق}.

المعلم (٤٣) : مراجعة العبد نفسه :

شباب الإسلام : وإن مما ينبغي عليكم بخاصة من خلال تلك النوازل والأحداث العظيمة، ينبغي عليكم مراجعة أنفسكم وبحث قضاياكم والحرص على معرفة أسباب الخلل والضعف بتجرد وروية، ويتأكد هذا الأمر في حق من يتولى تربية الناشئة فعليه أن يجعل نصب عينيه مراقبة الله تعالى في

من يتولى تربيتهم، وأن يعلم أن مسئوليته أعظم من مسئولية غيره، وإن جنايته إن جنى تتعدى سرايتها إلى جميع من معه أو أغلبهم. والمخرج من ذلك بعد مراقبة الله تعالى أن يراجع أهل العلم المتضلعين المشهود لهم بالرسوخ في العلم فإن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطأوا فلهم أجر واحد.

خاتمة :

أوصي شباب الإسلام ، أولئك الشباب صغار الأعمار وكبار الأقدار أولئك الشباب الذين يغبطهم المرء لحرصهم وحبهم للخير ، فيقال :

شباب الإسلام .. أنتم غرّة في جبين بيوتكم ومساجدكم ومجتمعاتكم ، والأمة تؤمّل بعد الله تعالى عليكم ، فكونوا عند حسن ظن الناس بكم ، احرصوا رعاكم الله تعالى على طلب العلم الشرعي من أهله ، وبخاصة من كبار علمائكم ، وسترون من الله تعالى ما يسرّكم ، ففي العلم الشرعي صواب العبادة وصواب التعامل مع الناس وصواب التربية إلى غير ذلك ، إيّاكم والتسرّع وبخاصة في أوقات الفتن والنوازل ، إحذروا من العواطف الجيّاشة التي لم تزم بزمام العلم الشرعي ، فإن مثل هذه العواطف تنقلب عواصف .

شباب الإسلام .. إلزموا المنهج العلمي في مسيرة حياتكم ، علما وعملا ، ودعوة وتعامل ، اعرضوا ما تقرأون وما تسمعون على المنهج العلمي ، سلوا كبار علمائكم بخاصة .

شباب الإسلام .. اعلموا رعاكم الله تعالى أن من أعظم أسباب الخلل في هذه الصحوة عدم التفريق بين العالم الذي تعبدنا الله تعالى بسؤاله ، وبين من فُتِح له باب شعر أو وعظ أو كلام في تربية ، فهذا الخلط يفتح باب من أعظم أبواب الخلاف والفتنة ، ذلك إذا تلقّى الشباب توجيههم وبخاصة في النوازل الكبيرة من غير كبار علمائهم .

شباب الإسلام.. تأملوا الأمر برفق ورويّة، ولا تخلطوا بين العالم وغير العالم ، وليكن أخذكم للعلم من أهله .

سأل شاب الإمام مالكا أن يوصيه ، فقال له الإمام مالك : اطلب العلم من أهله .

شباب الإسلام .. في المنهج العلمي بصيرة في الأمر ، ولزوم للطاعة ، وتنبه لمكائد العدو ، وهداية إلى كل خير ، في المنهج العلمي ضوابط للترويح المشروع ، ذكرت هذا حتى لا يظن بعضكم كما تلبس ذلك على بعضكم أن المنهج العلمي يمنع من الترويح عن النفس ، وهذا من الجناية على الدين .

شباب الإسلام .. إلزموا المنهج العلمي

ففي المنهج العلمي راحة نفسية وبدنية ، ففيه جماع الخير كله ، ودفع الشر كله لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، وأخذ العلم عن أهله الراسخين فيه .

شباب الإسلام .. تفقّدوا رعاكم الله تعالى أموركم وانظروا كم ذهب من السنين على بعضكم و لم يستفد علما ، فكم والله رؤي في كثير منكم حرقه على ما ضاع من عمره دون تحصيل علم يذكر ، وكم شكى ذلك أقوام منكم ، وكم ضعفت عزائم بعضكم لّما رأوا من يخذّلهم عن سلوك طريق العلم ولزوم كبار العلماء بخاصة ، قال ذلك غير قليل منكم ممن شعر بضياع الأوقات في غير تحصيل علم ، ورأى غيره ممن لزم العلم وأهله مجالسة أو مشافهة أو استفادة من فتاواهم وتوجيهاتهم قد تقدّم عليه بمراحل .

شباب الإسلام .. فيكم من فتح الله عليه بموهبة خطابة أو بقريحة شعرية أو بقلم سيّال أو بأسلوب تربوي وهذه مواهب خير شريطة أن يكون توظيف تلك الطاقات على منهج العلم الشرعي وفق هدي سلفنا الصالح فالشاعر يعرض قصيدته على عالم أو طالب علم ليصحح خللها العلمي ، وكذا الخطيب وصاحب القلم والمربي يعرضون مواهبهم من خطابة ومقال وأسلوب تربوي على أهل العلم الراسخين ؛ ليبينوا لهم الخطأ من الصواب فيكونون على علم وبصيرة من أمرهم .

معاشر الشباب .. والله إني لكم ناصح ، ولكم محب ، وعلى نفسي وعليكم مشفق ، وما كتبتُ هذا الكلام إلا من باب النصيحة لكم حتى تكونوا على بيّنة من أمركم ، فكونوا شباب الإسلام من قادة سفينة الإسلام والسنة إلى بر الأمان وبخاصة في هذه الأزمنة المدلهمّة .

جعلكم الله تعالى مباركين أينما كنتم ، وأقر أعيننا بأن نرى منكم أئمة في السنة يعلمون ويعملون ويعلّمون ، وأن نرى فيكم الداعية بعلم والخطيب بعلم والشاعر بعلم والمربي بعلم ، وأن نرى منكم من يذكرنا بأئمة الديانة من أهل السنة والجماعة ، كشيخ الإسلام والشيخ ابن باز وابن عثيمين ومن سبقهم وجاء بعدهم .

شباب الإسلام .. ربّوا ناشئتكم على منهج سلف الأمة ، علما وعملا وأبشروا وأمِّلوا فسترون من الله تعالى ما يشرح صدوركم ويقر أعينكم .

الله تعالى اسأل أن يبارك في شباب المسلمين ، وأن يجعلهم قرة عين لوالديهم ولمجتمعاتهم ولأمتهم ، وأن يهدينا وإياهم لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا هو ، وأن يصرف عنّا سيئها لا يصرف عنّا سيئها إلا هو .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

اللهم يا ذا الأسماء الحسنى ويا ذا الصفات العُلى ، اللهم وفّق شباب الإسلام إلى ما فيه صلاح أنفسهم وبيوتهم ومجتمعاتهم ، اللهم بارك لهم في أعمارهم وأعمالهم وجميع شأنهم ، اللهم اجعلهم قرة عين لوالديهم ومجتمعاتهم وأمتهم .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ،

الفهرس

الموضوع	الصفحة
تقديم فضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان	١
المقدمة	٢
المعلم (١) لزوم الدعاء	٦
المعلم (٢) كل أمر بقدر	٦
المعلم(٣) مقادير الله لا تكون إلا لحكمه	٧
المعلم(٤) في تقدير الله خير ولو كان مكروها في نظر كثير من الناس	٧
المعلم (٥) الحذر من تزكية النفس	٧
المعلم (٦) التأني وعدم التعجل في إطلاق الأحكام	٧
المعلم (٧) الحذر من الظنون السيئة	٨
المعلم (٨) : وجوب الإمساك والكف عن الخوض فيما ليس للعبد به علم	٨
المعلم (٩) التعويل على العلماء الراسخين	٨
المعلم (١٠) قبول الحق من كل أحد ولو كان بعيداً بغيضا ، ورد الباطل على كل أحد ولو كان حبيباً قريبا	٩
المعلم (١١) العواطف بلا علم تنقلب عواصف	١٠
المعلم (١٢) المجيء للعلماء لاستفتائهم لا لإفتائهم	١١
المعلم (١٣) التماس الأعذار لأناس دون العلماء بينما اللوم والعتب على العلماء	١١
المعلم (١٤) تحميل العلماء لكل خطأ يقع	١١
المعلم (١٥) الطعن في العلماء عون لأعدائهم في الداخل والخارج	١٢
المعلم (١٦) مدح العالم عند بعضهم موقوف على موافقة فتواه لما يريد ذلك المادح	١٣
المعلم (١٧) الفتيا ليست مشاعة لكل أحد	١٣
المعلم(١٨) من أسباب زيادة الفتنة أن يتصدر من لم يعرف بعلم	١٤
المعلم (١٩) حشد الأدلة لا يلزم منه صحة القول	١٤
المعلم (٢٠) الحذر من الجدال العقيم مع المخالف	١٤
المعلم (٢١) الحذر من استحسان أمور قبل سؤال العلماء عنها	١٥
المعلم (٢٢) الحذر من التوسّع في شأن الرؤيا	١٦
المعلم (٢٣) الحذر من رواية الأحاديث المكذوبة	١٧
المعلم (٢٤) الحذرمن العجب	١٧
المعلم (٢٥) الحذر من الغفلة عن الأعمال الصالحة في أوقات الفتن	١٨
المعلم (٢٦) الحذر من الايغال في التفاؤل	١٨

الموضوع	الصفحة
المعلم (٢٧) مراعاة حال المسلمين في أثناء الضعف والقوة	١٩
المعلم (٢٨) ليس كل من تحمس لقول يكون موافقا للحق	٢٢
المعلم (٢٩) الفرق بين حفظ النصوص وفهمها	٢٢
المعلم (٣٠) عدم الجزم بتزيل النصوص الشرعية على النازلة	٢٣
المعلم (٣١) عدم الانشغال عن القضايا الأخرى بدعوى الاشتغال بالنازلة الآنية	٢٣
المعلم (٣٢) الحرص على العبادة في أوقات الفتن	٢٤
المعلم (٣٣) الحذر من الكتبة المغرضين	٢٤
المعلم (٣٤) الحذر من الإرجاف بين الناس	٢٥
المعلم (٣٥) أوقات النوازل من أحسن الأوقات لتذكير الناس	٢٥
المعلم (٣٦) دعوة غير المسلمين للإسلام	٢٦
المعلم (٣٧) الحذر من تصديق الإشاعات	٢٧
المعلم (٣٨) الحذر من أولئك المتصدرين المتعجلين في إصدار الأحكام والآراء	٢٨
المعلم (٣٩) لا يلزم ممن عُرِف بمتابعته المستمرة لأحوال المسلمين أن يتولى إصدار الأحكام الشرعية	٢٨
المعلم (٤٠) الدعاء من أسباب كشف البلاء	٢٩
المعلم (٤١) إعادة النظر في أقوال وتوقعات صدرت بعجلة وتسرع	٣٠
المعلم (٤٢) الاعتبار والنظر في النوازل السابقة	٣٠
المعلم (٤٣) مراجعة العبد نفسه	٣٠
الخاتمة	٣١
الفهرس	٣٤